

رجل المستحيل
١٧ انتقام العقرب
• رجل المستحيل (١٧) • انتقام العقرب • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة
المؤلف
د. نبيل فاروق
رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة
١٧
• انتقام العقـرب •
• لماذا طلبت المخابرات المصرية من (أدهم صبرى) القيام بدور اللص ؟
• كيف يواجه (أدهم صبرى) مدينة بأكملها تبغى مصرعه ؟
• أينجح (أدهم صبرى) فى مواجهة عقارب (سكوربيون) أم يلقى حتفه فى (هونج كونج) ؟
• اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل رجل المستحيل .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ لص المخابرات ..

فى أحد أيام الربيع .. تمايلت أوراق الشجر الخضراء اليانعة ، مع نسمات الصباح المبكر ، وابتسم بائع صحف صغير ، وهو يتأمل رجلاً وسيمًا ، قوىَّ البنية ، طويل القامة ، يعدو بسرعة متوسطة ، كمن يزاول رياضة صباحية ، مرتديًا زيًّا رياضيًّا أزرق اللون ، طرزت فى موضع الجيب منه حروف صغيرة متداخلة بشكل فنى أنيق ..

تنبَّه بائع الصحف إلى أن صاحب محل الألبان الذى اعتاد عرض صحفه أمامه ، يشاركه التطلُّع إلى الرجل الوسيم ، فالتفت إليه ، وقال مبتسمًا :

ـ إن هذا الرجل يشبه نجوم السينما فى وسامته ، ويشبه لاعبى الكرة بجسمه الرياضىّ المتناسق .. تُرَى ما عمله بالضبط ؟

مطَّ اللَّبَّان شفتيه وهزَّ كتفيه فى آن واحد ، علامة على عدم المعرفة ، ثم قال :

ـ يخيَّل إلىَّ أنه أحد رجال الأعمال الأثرياء ، فهو يمتلك سيارة فاخرة ، ويرتدى دائمًا ملابس أنيقة غالية الثمن ، ثم إنه لا يخرج أو يعود فى أوقات منتظمة ، مما يؤكد أنه لا يعمل فى أية وظيفة ثابتة .

أخذ بائع الصحف يصف بضاعته بعناية ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد أنه رجل أعمال يا صديقى ؛ فمثل هؤلاء الناس لا يستيقظون أبدًا فى الخامسة والنصف صباحًا ، كما يفعل هو ، ثم إنه لا وقت لديهم لمزاولة الرياضة ، فالدقائق تعنى عندهم النقود دائمًا .

ضحك اللَّبَّان ، وربَّت بكفِّه على كرشه البارزة ، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تسأله عن عمله يا صديقى ، فهو يعود بعد أن ينتهى من مزاولة رياضته إلى هنا ، ليتناول نصف لتر من اللبن الطازج .

ابتسم بائع الصحف ، وقال :

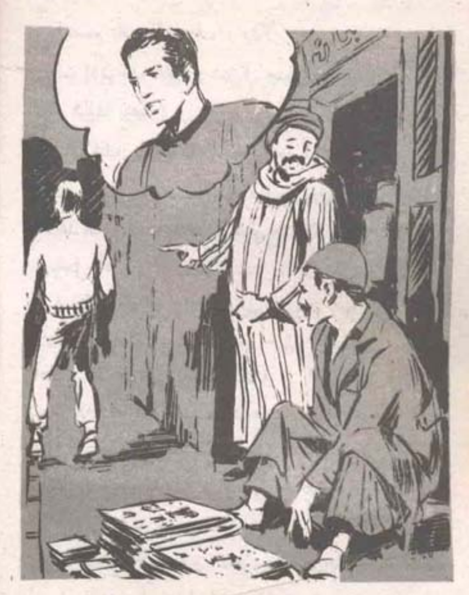
ـ إذن فهو يقطن هنا فى مدينة المهندسين .. هل يفعل ذلك يوميًّا ؟

قال اللبان ببساطة ، وهو يعود إلى محله :

ـ تقريبًا .. باستثناء الأيام التى يتغيَّب فيها فجأة ، وأعتقد أنه يسافر خلالها إلى خارج البلاد .. ألم أقل لك : إنه رجل أعمال ؟

لم يكن الرجل الوسيم يدرى وهو يواصل عَدْوِه الهادئ المنتظم ، أنه موضع حوار وتساؤل ، ولقد واصل عَدْوِه حتى نهاية الشارع الواسع ، وانحرف يسارًا كعادته ، ثم ابتسم عندما لمح سيارة صغيرة تقف بجوار الرصيف ، وقد استند إلى مقدمتها رجل طويل ، يبتسم بهدوء ، عاقدًا ذراعيه أمام صدره ، فأبطأ من عَدْوِه ، واقترب منه ، ومدَّ كفَّه يصافحه قائلاً :

ـ صباح الخير يا (حازم) .. أى رياح طيبة ألقت بك فى طريقى فى هذا الوقت المبكِّر ؟



لم يكن الرجل الوسيم يدرى وهو يواصل غدوه الهادئ المنتظم ، أنه موضع حوار وتساؤل ..

صافحه (حازم) مبتسمًا ، وقال :

ــ إنهم يحاولون الاتصال بمنزلك منذ ساعة تقريبًا دون فائدة ، ولقد أيقظنى المدير ، وطلب منى كالعادة إحضارك فى الحال .. ولمَّا كنت أعلم أنك تزاول رياضة الجرى يوميًا فى هذا الوقت ، فلقد انتظرتك فى المكان الذى تبدأ عنده رحلة العودة عادة .

ابتسم (أدهم صبرى) ، وقال :

ــ إنك تدفع ثمن صداقتنا الطويلة يا صديقى ، ولكننى سأكافئك بتناول كوب كبير من اللبن الدافئ ، قبل أن ننطلق إلى الإدارة .

هزَّ (حازم) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لا وقت لدينا يا صديقى .. إنهم يطلبونك على جناح السرعة ؛ لأنك ستسافر بعد ثلاث ساعات فقط إلى (هونج كونج) ، فى واحدة من تلك المهام التى تحتاج إلى (رجل المستحيل) .

* * *

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم) أن يجلس ، وبدا متعجِّلاً وهو يناوله صورة فوتوجرافية قائلاً :

ــ هذا هو الرجل الذى ستسعى وراءه هذه المرة أيها المقدم .. (يونيل هركابى) ، ضابط من ضباط المخابرات المعادية لنا .

تأمَّل (أدهم) الوجه البادى فى الصورة .. كان لرجل تجاوز الأربعين من عمره ، ممتلئ الوجه ، كثيف الشعر ، أشيب الفودين ، مما أعطاه شكلاً ووقورًا ، برغم حاجبيه الكثيفين ، وعينيه الضيقتين ، وكان أنفه الأجدع الملتوى الطويل يشير إلى انتمائه بشكل واضح ، فابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ لقد عرفت الآن لماذا لا يجيد هؤلاء القوم التنكُّر .. إنه ذلك المنقار الذى يضعونه فى موضع الأنف .

قال مدير المخابرات بضيق :

ــ كُفَّ عن هذا العبث أيها المقدم ، واستمع إلى العمل أولاً .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ حسنًا يا سيِّدى .. سأسعى وراء (يونيل هركابى) .. فما نوع المواجهة هذه المرة يا تُرَى ؟

أشعل مدير المخابرات سيجارة ، وهو يقول بهدوء :

ــ ستسرقه أيها المقدم .

خيِّل لـ (أدهم) أنه قد أخطأ فهم العبارة ، أو أن أذنيه قد أساءتا السمع ، فقال بدهشة :

ــ هل تقصد أن أخطفه يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ــ بل ستسرقه أيها المقدم .. أو بمعنى أصح ، ستسرق منه بعض الوثائق التى يحملها .

نظر (أدهم) إلى رئيسه متسائلاً ، فاستطرد بهدوء :

ــ إن (يونيل هركابى) ضابط خائن أيها المقدم .. خائن لمخابراته ، يبيع أسرارها إلى منظمة جاسوسية ، كان لك لقاء سابق معها .

ضاقت حدقتا (أدهم) ، وهو يقول :

ــ هل تقصد منظمة (سكوربيون) يا سيّدى ؟

نهض مدير المخابرات من خلف مكتبه ، وسار بضع خطوات نحو نافذة غرفته ، قبل أن يقول :

ــ تمامًا أيها المقدم .. إن (يونيل هركابى) يبيع أسرار دولته إلى منظمة (سكوربيون) ، ولقد سافر مساء أمس إلى (هونج كونج) ، وبحوزته بعض الوثائق الخطيرة ، التى تحوى أهم أسرار مخابرات دولته ، وهو ينوى تسليمها إلى عميل من عملاء (سكوربيون) ، سيصل إليه هذا المساء .. ومهمتك هى الحصول على هذه الوثائق ، قبل أن تصل إلى يد (سكوربيون) .

ارتفع حاجبا (أدهم) بدهشة ، وهو يقول :

ــ لست أفهم طبيعة مهمتى هذه المرّة يا سيّدى .. هل نحاول حماية أسرار المخابرات المعادية ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ــ بل إننا سنحاول الحصول على هذه الأسرار ، ومنع (سكوربيون) من ذلك ، فالسِّر لا يصبح سرًّا إذا ما علم به أكثر من شخص . أيها المقدم .

أشار (أدهم) بكفّه ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. إننى أفهم الأمر حتى هذه النقطة ، ولكن لماذا لا نقوم بشراء الوثائق من (يونيل هركابى) ، مادام قد عرضها للبيع .. أقصدُ بدلاً من محاولة سرقتها .

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ حتى الخيانة لها درجات أيها المقدم .. و (يونيل هركابى) لم يصل بعد إلى درجة أن يبيع أسرار دولته لخصمها ..

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ــ وما الفارق ؟ . ما دام سيبيع هذه الأسرار لمنظمة (سكوربيون) ، فهو يعلم أنها ستصبح سلعة فى مزاد ، تشتريها الدولة التى تدفع أكثر ، وليس هناك ما يمنع أن نكون نحن هذه الدولة .

قطّب مدير المخابرات حاجبيه ، وقال :

ــ إن مصر لا تتعامل مع تلك المنظمات الإجرامية أيها المقدم .. إما أن ننجح فى الحصول على هذه الوثائق بأسلوبنا الخاص ، وإما لا .

نهض (أدهم) واقفًا ، وقال بلهجة تجمع بين الخبث والسخرية :

ــ حسنًا يا سيّدى .. سأسرق الوثائق من (يونيل هركابى) ، ولكننى أخشى أن يلذّ لى أسلوب اللصوص ، فيصبح من الصعب علىَّ أن أعود لعمل المخابرات .

ابتسم مدير المخابرات لهذه الدعابة ، وقال :

ــ لو أنك تحوّلت إلى لصٍّ ، فسيثير ذلك ذعر دوائر الشرطة فى جميع بلدان العالم أيها المقدم ، فكيف لهم بمكافحة لص يمتلك كل هذه المهارات ، ويحمل لقب (رجل المستحيل) ؟

* * *

٢ ــ مغامرة ثانية ..

تطلّعتْ (منى توفيق) من وراء زجاج نافذة غرفتها فى الفندق إلى ميناء (هونج كونج) ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، وقالت :

ــ إن التطلّع إلى (هونج كونج) يثير الحيرة فى نفس الإنسان يا (أدهم) ، فلا يمكنك أن تجزم إذا ما كنت تتطلّع إلى أرض صينية أم إنجليزية أم أمريكية .. فالوجوه يحمل معظمها تلك البشرة الشاحبة المصفرّة ، وإن تناثرت بينها بشرات بيضاء وحمراء .. خليط عجيب من البشر .

كان (أدهم) يتطلّع إليها وحدها ، وهو يقول :

ــ إن (هونج كونج) مستعمرة بريطانية ، انتزعت من الأراضى الصينية يا عزيزتى ، إلى جانب أنها ميناء مفتوح ، ليست به حتى دائرة جمركية ؛ ولذلك فهى

مرتع خصب لرجال الأعمال من مختلف الجنسيات ، وهى أنسب مكان يمكن لأى أجنبى التجول فيه بحرية ، دون أن يثير وجوده أى انتباه .

أومأت (منى) برأسها علامة الفهم ، وقالت :

ــ لقد عرفت الآن ، لماذا اختار (يونيل هركابى) هذا الميناء لمزاولة خيانته .

وابتسمت عندما نهض (أدهم) ، ومسَّ كتفها برفق قائلاً :

ــ إننى أدين لهذا الوغد بفضل عودتنا للعمل معًا مرة ثانية أيتها النقيب .. لقد تصوَّرت يومًا أن .....

قاطعته وهى تقول بحنان :

ــ هل تعلم أن ذلك قد حدث بعد عام كامل بالضبط ، من عملنا معًا لأول مرة ؟

اتسعت عيناه ، وظهر المرح فى ملامحه وهو يضرب بكفّه على راحته قائلاً :

ــ يا إلهى !! هذا صحيح ، إنه نفس التاريخ ..

لقد مر عام واحد .. عجبًا !! أحدثت كل تلك المغامرات ، وتعرَّضنا لكل هذه الأهوال فى عام واحد ؟.. لقد خيِّل إلىَّ أنه قد مرت مئات السنوات منذ عملنا معًا لأول مرة .

ضحكت وهى تقول :

ــ إننى لست عجوزًا إلى هذه الدرجة .

شعر (أدهم) بعاطفة قوية تجتاحه ، فاستدار مبتعدًا ، وجلس صامتًا على مقعد قريب ، ومضت فترة وكلاهما يتطلَّع إلى الآخر ، ثم تنحنح (أدهم) وقال :

ــ فلنعد مرة ثانية إلى العمل .. إن (يونيل هركابى) يقيم فى منزل من طابقين على بعد بضعة أمتار من فندقنا ، وسنقوم كالعادة بدراسة أرض المعركة أولاً ، ثم نعدُّ الخطة المناسبة للسرقة التى ننوى القيام بها .

ثم أردف بسخرية :

ــ وسنعمل على إجادة السرقة ، بشكل يحسدنا عليه (أرسين لوبين) نفسه .

* * *

تناول (يونيل هركابى) مسدسه ذا (الماسورة) الطويلة بعناية ، ومرَّ بأصابعه على مقبضه بحنان عجيب ، ثم انتزع خزانته الفارغة ، وأخذ يحشوها بالرصاصات ، فى نفس اللحظة التى اقترب فيها منه رجل قصير القامة ، نحيل الوجه ، بارز العظام ، له ملامح الثعلب ، بفمه الواسع ، وعينيه الواسعتين الجاحظتين ، وأنفه الطويل الملتوى ..

تطلع (يونيل) إلى الرجل ، ثم عاد يولى الخزانة اهتمامه ، وهو يقول :

ــ هل تأكَّدت من حجز الغرفة التى سيقيم بها عميل (سكوربيون) يا (هانك) ؟

ارتسمت على شفتى (هانك) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ لقد فعلت يا مستر (هركابى) .. هل تعلم من لمحت من بين نزلاء الفندق ؟

التقى حاجبا (يونيل) ، وهو يقول :

ــ لا أظنه (سوبرمان) أو (الرجل الأخضر) !

ضحك (هانك) وهو يقول :

ــ ما هذان إلا شخصيتان وهميَّتان يا مستر (هركابى) .

ثم برقت عيناه وهو يضغط حروف كلماته ، ويتطلَّع إلى (يونيل) بخبث قائلاً :

ــ الشخص الذى رأيته رجل حقيقى .. رجل نعرفه باسم (أدهم صبرى) .

ارتجف جسد (يونيل) بعنف ، وكأنما برز أمامه أكثر الأشباح إثارة للرعب ، وسقطت الخزانة من يده ، وتناثرت الرصاصات الباقية على أرض الغرفة ، على حين اتسعت عيناه ذعرًا ، وتدلَّت فكّه السفلى ببلاهة ، وهو يتطلَّع إلى (هانك) برعب ، ثم قال بتلعثم :

ــ وما الذى ... ما الذى أتى بهذا الشيطان إلى هنا ؟

قال (هانك) دون أن تفارقه ابتسامته الخبيثة :

— لا ريب أنه يسعى وراء الوثائق يا مستر (هركابى) .

أخذ (يونيل هركابى) يسير فى الغرفة بقلق ، ويحك رأسه بعصبية ، ثم قال :

— وأنَّى له أنْ يعلم بوجودها معى ؟ لقد راعينا السرِّيَّة البالغة ، فكيف تسرَّب هذا السِّر ؟

ثم أشاح بذراعه ، وهو يقول بلهجة من يطمئن نفسه :

— لا .. لا .. إن (أدهم صبرى) هنا لسبب آخر بلا شك .. لا يمكن أن ....

وبتر عبارته ، وعاد يقول بقلق وذعر :

— ولكن ماذا نفعل لو أنه يسعى وراء الوثائق حقًّا ؟.. إن هذا الرجل شيطان .. شيطان بحق .

حرَّك (هانك) سبَّابته أمام وجهه ببطء ، وهو يقول :

— حتى الشياطين يمكن خرقها يامستر (هركابى) ..

لا تقلق .. هل لديك صورة لـ (أدهم صبرى) ؟

أومأ (يونيل) برأسه إيجابًا ، وقال :

— إنها لا تفارق جيبى .. ماذا تريد أن تفعل بالضبط ؟

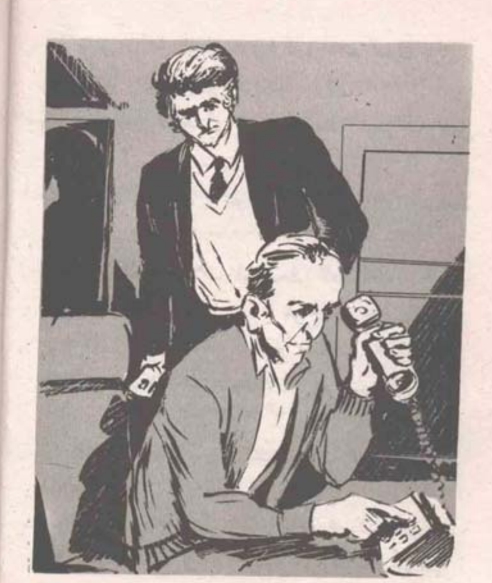
تناول (هانك) سماعة الهاتف ، وقال بابتسامته الخبيثة :

— إن لدىَّ صلات طيبة ببعض العصابات .. أقصد بعض الرجال المحترمين فى (هونج كونج) يا مُستر (هركابى) .. وما دمنا سندفع بسخاء ، فسيسعدهم التخلُّص من (أدهم صبرى) قبل غروب الشمس .

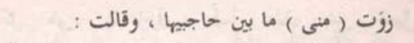
* * *

قال (أدهم) ، وهو يشير بطرف خفى إلى منزل (يونيل هركابى) :

— من الواضح أن هذا الوغد يتصرَّف باطمئنان بالغ ، فلم يحاول وضع حراسة على منزله ، أو تغيير اسمه .



تناول (هانك) سماعة الهاتف ، وقال بابتسامته الخبيثة :
— إن لدىَّ صلات طيبة ببعض العصابات ..



زوَت (منى) ما بين حاجبيها ، وقالت :

— يبدو لى ذلك عجيبًا ، فماذا لو أن مخابرات دولته تنبَّهت لخيانته ؟

مطَّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

— لا شك عندى فى أن مخابرات دولته تعلم بوجوده هنا ، ولكنها لا تعلم بخيانته لها ، فربما حضر فى إجازة أو لشىء من هذا القبيل .

ثم استطرد بجدِّية :

— المهم أنه لا توجد فى هذا المنزل سوى نافذة واحدة ، يمكن التسلُّل من خلالها إلى الداخل ، وبعد ذلك تصبح أمامنا مشكلة العثور على الوثائق .

قالت (منى) :

— لماذا لا ننتظر حتى يسلمها لعميل (سكوربيون) ، ثم نسرقها من هذا الأخير ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— فكرة طيبة ، ولكننى أخشى لو تأخرنا أن نفقد

كل شيء يا عزيزتى ، فما نعلمه عن عميل (سكوربيون) ، أقل بكثير عن معلوماتنا عن (يونيل هركابى) .

هزّت (منى) كتفيها ، وعادت تتأمّل منزل (يونيل) ، على حين تصاعد صوت مجموعة من الشبـاب ، انطلقـوا يرفعـون عقيرتهم بالغنـــاء فى صوت مزعج ، فقطّبت حاجبيها ، وتأمّلتهم بضيق ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، وقالت :

ـــ يبدو أنهم قد تناولوا بعض الخمر فى الصباح .

نظر (أدهم) إلى الشبان الثلاثة ، وقال :

ـــ إن (هونج كونج) مدينة العجائب يا عزيزتى ، فلا تجعلى كل غريب يزعجك .

اقترب منهما الشبـان الثلاثة وهم يتمايلون ، ويتمازحـون بصوت عالٍ ، فمطّ (أدهم) شفتيه باحتقار ، وابتعدت (منى) عن طريقهم باشمئزاز ، إلّا أن أحدهم أمسك بذراعها قائلاً :

ـــ أراهن أنك ملكة جمال بلادك أيتها الفاتنة .. أليس كذلك ؟

أمسك (أدهم) معصم الشاب بقوة ، وقال بصرامة :

ـــ أبعد يدك القذرة عنها ، وإلّا حطّمت رأسك أيها الوغد .

وفجأة تبخّر كل أثر زائف للخمر من رءُوس الشبان الثلاثة ، واستل أحدهم مديّة حادّة من حزامه ، وقفز نحو (أدهم) ، وهو يطلق صيحات وحشية شرسة .

* * *





٣ ـــ عصابات هونج كونج ..

يتساءل الكثيرون عن سرّ تفوق (أدهم صبرى) ، وندرته فى عالم المخابرات ، ولكى نجيب عن هذا التساؤل ، سنكتفى بوصف ما حدث فى ذلك الجزء من الثانية ، الذى مرّ ما بين هجوم الشبان الثلاثة وبدء الصراع .

فحتى قبض (أدهم) بيده على معصم الشاب الذى أمسك بذراع (منى) ، لم يكن يتصوّر أن تظاهر الشبـان الثلاثـة بالسُّكْر ، ما هو إلا جزء من خطـــة للتخلّص منه ورفيقته ، ولكن فى اللحظة التى مدّ فيها الشاب الثانى يده نحو حزامه ، استوعب عقل (أدهم) الأمر برمّته ، وعندما استلّ الشاب مديّته ، كان عقل (أدهم) قد وضع الخطة المناسبة لردّ هذا الاعتداء ، والتغلّب على الشبان الثلاثة .. وما أن قفز الشاب

نحوه ، حتى كان عقل (أدهم) قد دخل إلى مرحلة التنفيذ .. وهنا تتجلَّى نقطة التفوُّق فى تكوين (رجل المستحيل) ، ألا وهى سرعة الاستجابة المذهلة ، التى يتميَّز بها ، ومهارته الشديدة فى القتال ، وجرأته التى لا مثيل لها .

لقد كان القتال غير متكافئ على الإطلاق ، فعندما هجم الشبان الثلاثة كانوا يتصوَّرون أنهم يواجهون رجلاً وامرأة ، ولكن ما أن تحرَّكت أطراف (أدهم) الأربعة فى آن واحد ، حتى تنبَّهوا إلى أنهم يقاتلون أربعة رجال فى جسد واحد ، وإذا أضيفت إليهم (منى) يكون المتقاتلون خمسة فى مقابل ثلاثة .

تحرَّكت قدما (أدهم) فى آن واحد ، فركلت إحداهما المدية من يد الشاب ، واستقرت الأخرى فى فكّه ، فألقت به إلى الوراء ، فى نفس اللحظة التى لوى فيها (أدهم) معصم الشاب الذى يمسك بذراع (منى) فحطَّمه ، غير مبالٍ بالتأوُّهات التى ملأت

أذنيه ، وتحركت يده الأخرى لتهبط فى لكمة ساحقة ، هشمت فكّ الشاب الثالث ، وحطَّمت أسنانه .

حاول الشاب الأوَّل أن ينهض لمواصلة القتال ، إلا أنه مال إلى الأمام على أثر قنبلة غاصت فى معدته ، وتأوَّه بصوت مزعج ، لا يختلف عن صوت غنائه عندما تفجرت الدماء من أنفه ، الذى تهشم بفعل قبضة حديدية استقرت فوقه ..

صاحت (منى) بجذل :

ــ يا للروعة !! إنك لم تترك لى حتى الفرصة للاشتراك فى القتال .

قال (أدهم) بسخرية وهو يمسك معصمها ، ويتحرَّك بسرعة مبتعدًا عن ساحة المعركة :

ــ إننى أحاول تخفيف الأعباء عن كاهلك يا عزيزتى .

قالت (منى) وهى تلهث من عدْوها خلفه ، محاولة اللحاق بخطواته السريعة :

ــ مهلاً يا (أدهم) ، فلم تُشفَ إصابة ساقى تمامًا .

قال (أدهم) بشرود :

ــ معذرة يا عزيزتى .. لقد أثار هذا الحادث قلقى ، إلى درجة جعلتنى أنسى ذلك .

ثم أشار إلى مطعم صينى قريب ، وقال :

ــ سنتناول طعامنا هنا ، ونتحدَّث قليلًا فيما حدث .

قالت (منى) وهى تعدِّل من ثوبها ، وتتبعه إلى داخل المطعم :

ــ وما الذى يعنيه لك هذا الحادث ؟.. إنهم ثلاثة شبان مخمورين !

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال بسخريته المألوفة :

ــ لو أن الأمر بهذه البساطة التى تتصوَّرينها يا عزيزتى ، فستكون هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها مخمورًا لا تفوح من فمه رائحة الخمر .

ثم أردف قائلاً بجدِّية :

ــ إن ما فعله هؤلاء الأوغاد يؤكد ــ بما لا يدع مجالاً للشك ــ أن مهمتنا قد انكشفت قبل أن تبدأ يا عزيزتى .

* * *

صاح (يونيل) بعصبية موجِّهًا حديثه إلى (هانك) :

ــ لقد حطَّمهم فى أقل من دقيقة .. كنت أعلم ذلك .. ألم أحذِّرك من أن هذا الرجل شيطان ؟

مطَّ (هانك) شفتيه ، وقال :

ــ وكيف لى أن أتصوَّر تنبُّهه إلى ذلك ؟.. لقد ظننت فى البداية أن حسن الحظ فقط هو ما قادنا لكشف أنه يراقب المنزل .

ثم قطَّب حاجبيه وهو يستطرد قائلاً :

ــ ولكننى أوافقك أن هذا الرجل شيطان مفترس .. آه لو أنك رأيت ما فعله بهؤلاء الشبان

الثلاثة المساكين !! لو أن أم أحدهم رأت وجه ابنها ما تعرفته .. لقد شوّههم هذا الشيطان تمامًا .

فرك (يونيل) كفّيه بعصبية ، وهو يقول :

ــ لا بدّ لنا من إيجاد حل للتخلّص من هذا الشيطان ، قبل أن يصل مستر (آرثر) مندوب (سكوربيون) .

نهض (هانك) واقفًا ، وقال :

ــ ليته يصل سريعًا .. إن مجرد تسلمه للوثائق ينهى هذه المشكلة ، ويمكننا من مغادرة (هونج كونج) بأمان .

قال (يونيل) بأسى :

ــ لن يصل للأسف قبل مساء اليوم .. هذا ما أخبرنى به رجال (سكوربيون) .

نظر (هانك) إلى ساعته ، وقال :

ــ إن الساعة تشير الآن إلى الثانية ظهرًا ، ما زال أمامنا ....

قطع عبارته رنين جرس الباب ، فتوقف عن الحديث ، وتبادل نظرات القلق مع (يونيل) ، ثم أخرج مسدسه ، وتحرّك على أطراف أصابعه نحو الباب وأطلّ من خلال العين السحرية المثبّتة به ، ثم صاح بصوت يجمع بين الدهشة والفرح :

ــ يا إلهى !! إنه مستر (آرثر) .. لقد انتهت مشاكلنا يا مستر (يونيل) .

* * *

زفرت (منى) بقلق وضيق ، وقالت لـ (أدهم) :

ــ إذن فقد كشف أحدهم طبيعة مهمتنا ، ويحاول إقصاءنا عن إتمامها .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ هذا صحيح ، وأعتقد أنه خطئى يا عزيزتى ، فلقد كان من المفروض أن ألجأ إلى التنكُّر ، ما دمت أسعى خلف أحد أفراد المخابرات المعادية ، فهم جميعًا يحفظون صورتى عن ظهر قلب كما تعلمين .

عضّت (منى) شفتها السفلى ، وقالت بقلق :

ــ وماذا علينا أن نفعل الآن يا (أدهم) ؟

قال (أدهم) وهو ينهض ويضع ورقة كبيرة فوق المائدة :

ــ سنبدأ بأن نتحاشى نقطة الخطأ يا (منى) .. سنعود إلى الفندق ، ونستخدم حقيبة أدوات التنكُّر .

* * *

أخذ (يونيل) يد (آرثر فريدمان) مندوب (سكوربيون) بين راحتيه ، وصافحه بحرارة وهو يقول بسعادة لم يستطع إخفاءها :

ــ يا لها من مفاجأة !! إننى لم أتصوّر حضورك مبكّرًا هكذا يا مستر (آرثر) .. لقد أخبرونا أنك قادم فى طائرة المساء .

ضاقت عينا (آرثر) وهو يتفحّص (يونيل) بدهشة ، ويقول :

ــ لقد فضّلت الحضور مبكّرًا .. ولكن ما الذى

يثير سعادتك إلى هذه الدرجة ؟

قال (يونيل) بمرح ، وهو يتناول مظروفًا ضخمًا من حقيبته :

ــ لقد كنت متلهّفًا على تسليمك الوثائق ، والحصول على المبلغ المتفق عليه يا مستر (آرثر) ، فهناك من يسعى وراءنا .

فردّ (آرثر) قامته الطويلة الفارهة ، وداعب أنفه الضخم بسبابته ، وهو يتأمّل (يونيل) بعينيه الزرقاوين أسفل حاجبيه الكثيفين ، ثم أعاد خصلة نافرة من شعره إلى وضعها الصحيح ، وقال ببطء وهدوء :

ــ كنت أتصوّر أن هذا الأمر يتم بصورة سريّة للغاية يا مستر (يونيل) .

ازدرد (يونيل) لعابه بصعوبة ، وقال :

ــ لقد وصل الأمر إلى المخابرات المصرية بشكل ما ، و ....

قاطعه (آرثر) وهو يقطّب حاجبيه ، ويقول بقلق :

ــ المخابرات المصرية ؟.. إننى لا أحب هؤلاء المصريين .. إنهم يفسدون أعمالنا باستمرار .

نظر إليه كل من (يونيل) و (هانك) بدهشة ، وسأله هذا الأخير :

ــ هل واجهك هؤلاء الشياطين من قبل يا مستر (آرثر) ؟

قال (آرثر) بضيق وغضب :

ــ دَعْنا من هذا الأمر ، وأخبرنى كيف عرفت المخابرات المصرية بهذا الأمر ؟

هزَّ (يونيل) كتفيه ، وقال بتردُّد :

ــ قد لا يكونون وراءنا بالذات .. كل ما فى الأمر أننا نحنا أحد ضباطهم .. وربما كنا منصفين إذا قلنا إنه أخطر ضباطهم .. رجل شيطان يدعى (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (آرثر) بغتة ، وقفز إلى الأمام ، ممسكًا ياقة (يونيل) ، ويقول بانفعال عجيب :

ــ يا للشيطان !! هل قلت (أدهم صبرى) ؟

سأله (هانك) بدهشة :

ــ هل تعرفه يا مستر (آرثر) ؟

استعاد (آرثر) هدوءه بسرعة ، وقال :

ــ ومن ذا الذى لا يعرفه ؟. لقد كان له معنا شأن خطير .. إنه الرجل الوحيد الذى تمكَّن يومًا من هزيمة (سكوربيون) فى عقر دارها .. فى جزيرة (تيرور) .

اتسعت عينا (يونيل) ، وصاح بذهول :

ــ يا للشيطان !! إن هذا الشيطان لم يدع منظمة دون أن يحاربها ويهزمها .

تدخَّل (هانك) قائلاً بخبث :

ــ ليتك ترىٰ الرجال الذين أرسلناهم لقتله .. لقد حوَّلهم إلى كومة من اللحم المفرى يصعب تعرُّفه .

ابتسم (آرثر) ، وقال :

ــ لقد رأيته يفعل ما هو أشرس من ذلك .. من الذى استعنتا به للقضاء عليه ؟

انتفخت أوداج (هانك) ، وهو يقول :

ــ إن لى صلات طيبة ببعض عصابات (هونج كونج) يا مستر (آرثر) .. لقد لجأت إلى (ماكو) ، و ....

قاطعه (آرثر) ، وهو يقول بدهشة ممزوجة بالسخرية :

ــ (ماكو) ؟..

ثم قهقه ضاحكًا بسخرية أثارت دهشة (يونيل) ، وغيظ (هانك) ، ثم قال :

ــ لقد لجأت إلى حثالة مجرمى (هونج كونج) يا مستر (هانك) .

وتحرَّك ببساطة متناولاً سماعة الهاتف ، وهو يقول مستطردًا :

ــ قد يكون الحصول على الوثائق هامًا ، ولكن التخلُّص من ذلك الشيطان (أدهم صبرى) أكثر الأمور أهمية .. ومثل هذا الأمر يحتاج إلى رجل مثل (يانج هو) .

تمتم (يونيل) بتساؤل :

ــ (يانج هو) ؟

ابتسم (آرثر) بسخرية ، وقال وهو يضغط أزرار الهاتف :

ــ من المؤسف ألا تعلم من هو (يانج هو) يا مستر (يونيل) .. إنه الرجل الذى يضع (هونج كونج) فى قبضته .. لا يوجد زقاق واحد فى (هونج كونج) لايدين أحد المقيمين به لـ(يانج هو) بالولاء.

ثم استطرد بشراسة :

ــ لو أن (يانج هو) قرَّر القضاء على هذا الشيطان المصرى ، فسيكون عليك الاستعانة بملقط صغير لجمع ما يتبقى من (أدهم صبرى) يا مستر (يونيل) .

وضحك بسخرية ، وهو يردف قائلاً :

ــ هذا لو تبقَّت منه بقايا تذكر .

* * *

٤ ــ بلا رحمة ..

صفّ (أدهم صبرى) أدوات التنكّر التى يحتاج إليها لتبديل ملامحه أمامه ، وفحصها بعناية ، ثم تناول أنبوبًا صغيرًا تستخدم مادته لتبديل لون الشعرّ بسرعة ، ووضع بعضًا منها على شعره ، وأخذ يدلكه بعناية وهو يقول ساخرًا :

ــ إننا ندين لـ (المكتب رقم عشرة) بسرعتنا فى تبديل ملامحنا يا (منى) .. تصوّرى أن هذه المادة تبدّل لون الشعر تمامًا ، فى أقل من نصف ساعة .

ابتسمت (منى) ، وقالت وهى تثبت عدسات لاصقة زرقاء فوق حدقتيها :

ــ إنك تدين لموهبتك المذهلة بذلك يا (أدهم) ، فالسلاح الخطير يصبح مجرد جماد لا فائدة منه ، لو استخدمته يد غير مدرّبة .. هل تذكر كيف بدّلت

ملامحك تمامًا باستخدام بعض المواد الكيمياوية البسيطة فى السويد ؟

ارتفع رنين جرس الهاتف الداخلى فى الغرفة ، فتبادل (أدهم) النظرات مع (منى) ، ثم تناول سماعة الهاتف ، وقال بهدوء :

ــ من المتحدّث ؟

أتاه صوت عميق هادئ ، يتحدّث الإنجليزية بلكنة أجنبية ويقول :

ــ مستر (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

زوَى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يكرر سؤاله بقلق :

ــ من المتحدّث ؟

سمع من الطرف الآخر ضحكة عالية ساخرة ، أعقبها انقطاع الاتصال تمامًا ، فوضع (أدهم) سماعة الهاتف ، وقفز نحو أدوات التنكّر يعيدها إلى الحقيبة ، وهو يصيح بـ (منى) :

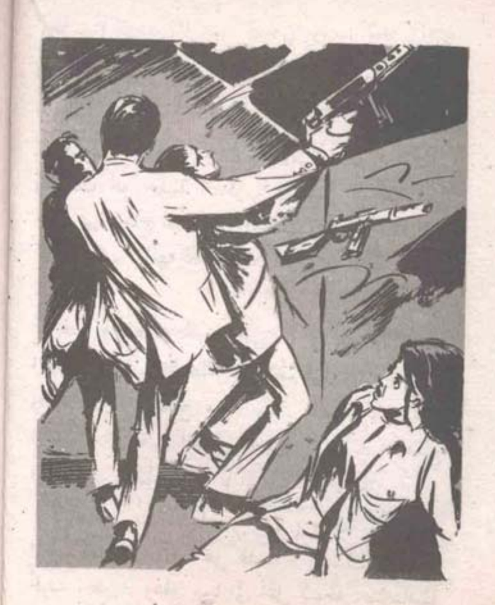
ــ أسرعى يا (منى) .. لا بدّ لنا من مغادرة الفندق بأقصى سرعة ممكنة .. سيحاول بعضهم التخلّص منا هنا .

أسرعت (منى) تطيع الأمر دون مناقشة ، وتحرّكت نحو حقيبة التنكّر ، فى نفس اللحظة التى تحطّم فيها زجاج النافذة ، وأصابت رصاصة المرآة التى كانت تقف أمامها تمامًا .

* * *

قفز (أدهم) نحو (منى) ، ودفعها إلى أرض الغرفة ، فى نفس اللحظة التى تحطّم فيها قفل بابها بعدة رصاصات من مدفع مزوّد بكاتم للصوت ، واندفع ثلاثة رجال لهم الملامح الصينية ، يحملون المدافع الرشاشة ، ويصوّبونها نحو (أدهم) ، و (منى) .

كانت سرعة استجابة (أدهم) مذهلة حقًا هذه المرة ، فقد قفز واقفًا على قدميه ، وأمسك معصمى أقرب رجلين ، ودفع بهما إلى أعلى لتتوجّه رصاصاتهما



كانت سرعة استجابة (أدهم) مذهلة حقًا هذه المرة ..

إلى السقف ، وركل المدفع الرشاش الذى يمسك به الرجل الثالث ، فأطاح به بعيدًا ، وثنى ذراعه دون أن يترك معصم الرجل الذى إلى يمينه ، ليرتطم مرفقه بفك الرجل الذى تراخت قبضته ، وأفلت مدفعه الرشاش ، وهنا أفلت معصم الرجل ، وكال إلى الآخر لكمة ساحقة تمتلئ بخوفه على (منى) ، وتحطم فك الرجل تمامًا ، وأصبح (أدهم) يواجه رجلين لا يحمل أى منهما أية أسلحة ، أو لا يجد الفرصة لاستخدامها ..

وما هو إلا جزء من الثانية ، حتى كان (أدهم) قد حطَّم فكَّى الرجلين الآخرين ، ثم أمسك بيد (منى) ، وأسرع مغادرًا الغرفة ، فسألته وهى تلهث انفعالاً وإجهادًا :

ــ ماذا يحدث ؟.. كيف يهاجموننا بهذه السرعة ؟

لم يجبها (أدهم) ؛ إذ توقَّف مشدوهًا ، وعيناه تحملقان فى الجدار المقابل ، وسمعته (منى) يتمتم بذهول لم تألفه منه مطلقًا .

ــ يا إلهى !! كيف أمكنهم ذلك بحقِّ السماء ؟!

التفتت (منى) إلى حيث يحدِّق (أدهم) ، واتسعت عيناها ذهولاً بدورها ، فعلى الجدار المقابل التصقت صورة مطبوعة بحجم ضخم لوجه (أدهم صبرى) ، وتحتها كتابة بعدة لغات ، قرأت منها (منى) عبارة إنجليزية تقول : « مطلوب لحساب (يانج هو) ــ الثمن عشرة آلاف جنيه استرلينى » .

* * *

قهقه (يونيل) ضاحكًا وهو يتأمَّل الصورة المطبوعة لوجه (أدهم صبرى) ، ثم التفت إلى رجل متوسط البدانة ، له وجه مستدير ، أصفر البشرة ، يميِّز ملامحه الصينية ذلك الميل الواضح فى عينيه ، وشاربه الطويل الرفيع ، وزيّه المزركش ، المتعدد الألوان ، ويثير رأسه الأصلع تمامًا الرغبة فى الضحك لكبر حجمه .. قال (يونيل) وهو يتأمَّل الرجل :

ــ لقد حققت أمرًا يشبه المعجزات يا مستر

(يانج) .. كيف أمكن طبع هذه الصورة وتوزيعها ، واتخاذ خطوة فعَّالة فى أقل من نصف ساعة .

انحنى (يانج هو) كما يحدث فى التحيَّة الصينية ، وقال بلهجة مهذَّبة :

ــ إن خادمك المهذَّب (يانج هو) ، يمتلك مطبعة صغيرة ، تكلفت مليونًا من الجنيهات الإسترلينية ، وهو يضع كل إمكاناته المتواضعة فى خدمة السيِّد المهذَّب .

ضحك (آرثر) ، وقال وهو يربِّت على ظهر (يانج) :

ــ كُفَّ عن تواضعك هذا يا (يانج) .. إن الجميع فى (هونج كونج) يعلمون قوتك وقدراتك .

عاد (يانج هو) ينحنى وهو يقول :

ــ إن (يانج هو) لسعيد بهذا الثناء على قدراته المتواضعة .

التفت (آرثر) إلى (يونيل) و (هانك) ، وقال ضاحكًا :

— ألم أقل لكما إن مجرد دخول (يانج هو) فى الأمر ، يضمن القضاء على أكثر شياطين الجحيم خبثًا ودهاءً ؟

قال (يانج هو) بلهجة مهذبة للغاية :

— فليغفر مستر (آرثر) مندوب (سكوربيون) العظيمة لـ (يانج هو) ، فلقد أمرت رجالى بإحضار ضابط المخابرات المصرى إلى هنا حيًّا .

قفز (يونيل) من فوق مقعده ، وصاح بجزع :

— يا إلهى !! أطلبت منهم ذلك حقًّا ؟. لقد ارتكبت خطأ بشعًا يا مستر (يانج) .. خطأ قد يُودى بمنظمتك كلها .

ابتسم (يانج هو) وهو يقول بهدوء :

— إن (يانج هو) لا يرتكب الأخطاء يا مستر (يونيل) .. إن كل شىء يسير بنظام وسرعة .

قال (هانك) بدهشة :

— ولكن .. تلك الصورة التى وزّعتها فى أنحاء (هونج كونج) تشير إلى قتله .

أومأ (يانج هو) برأسه ، وقال :

— إن هذا ما يتصوَّره أجنبى مثلك يا مستر (هانك) ، أما رجال (هونج كونج) فيفهمون جيِّدًا أن كلمة « مطلوب لحساب (يانج هو) » تعنى إحضاره حيًّا .. أما إذا ما أراد (يانج هو) جثة شخص ما فإنه يقول : « مطلوب من أجل (يانج هو) » .

ثم ضغط زرًّا صغيرًا بجواره ، فانكشفت فجوة فى الأرض على الفور ، وقال وهو يشير إلى سائل أصفر اللون كثيف القوام يملؤها :

— هل تعلمون ما هذا أيها السادة المحترمون ؟.. إنه أقوى أنواع الأحماض المعروفة .

وانحنى أمامهم وهو يستطرد بهدوء :

— وهنا سيتحلَّل جسد ضابط المخابرات المصرى أيها السادة .

قال (يونيل) بغضب :

— كنت أفضل إحضار جثته إلى هنا ، فهذا أكثر ضمانًا .

ابتسم (يانج هو) ، وقبل أن ينطق بكلمة ارتفع رنين الهاتف ، فقال بهدوء :

— استعدُّوا أيها السادة ، لسماع خبر القبض على ذلك الرجل الذى دوَّخ أعظم منظمات العالم .

ثم رفع السماعة ووضعها على أذنه ، وتعلَّقت الأبصار كلها بوجهه ، الذى ظلَّ جامدًا حتى انتهت المكالمة ، ثم وضع السماعة وقال بهدوء ، وإن نمت لهجته عن الضيق :

— يبدو أن هذه هى المرة الأولى التى سيضطر فيها (يانج هو) للقيام بجولة ثانية ، فقد أفلت رجلكم يا سادة .

صاح (يونيل) بغضب :

— ألم أحذِّرك؟.. إن هذا الرجل شيطان .

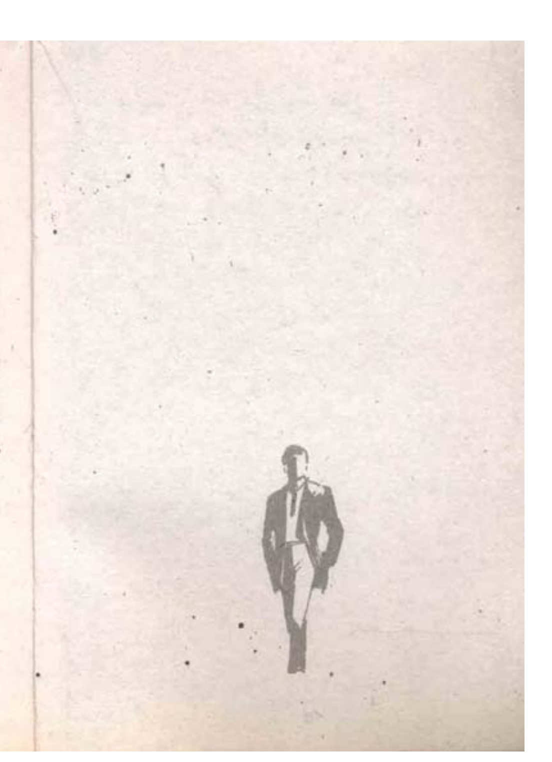
قال (يانج هو) بهدوء شديد :

— إنها المرة الأولى التى يحدث فيها هذا يا مستر (يونيل) .

.. ثم صمت لحظة قبل أن يستطرد :

— ولهذا فسأقوم لأول مرة بتغيير الإعلانات التى تطلب هذا الرجل .. سأطلب إحضار جثته مباشرة .

* * *



٥ ــ من بين أصابعهم ..

وقف أحد سكان (هونج كونج) ، يتطلّع إلى صورة (أدهم صبرى) فترة طويلة ، ثم أغمض عينيه ، وأخذ يمنّى نفسه بالعثور على هذا الرجل ، وتسليمه إلى (يانج هو) ، وتحرّكت خلايا مخّه تحسب ما يمكن أن يفعله بعشرة آلاف جنيه استرليني ، عندما ربّت أحدهم على كتفه ، فأفاق من تأمّلاته ، واستدار يواجه محدّثه ، فوجد أمامه رجلاً كستنائى الشعر ، له حاجبان كثيفان ، وشارب رفيع ، يعلوه أنف ضخم .. كان من الواضح أنه أجنبى من دول شمال أوربة ، وسمعه يقول بلغة إنجليزية سليمة :

ــ أخبرنى يا صاح ، لماذا يطلبون هذا الرجل ؟

قال الرجل بابتسامة :

ــ إن (يانج هو) يطلبه حيًّا .. ألا تعلم من هو (يانج هو) أيها الغريب ؟



فوجد أمامه رجلًا كستنائى الشعر ، له حاجبان كثيفان ، وشارب رفيع ، يعلوه أنف ضخم ..

هزّ الرجل الكستنائى الشعر كتفيه بلا مبالاة ، وغادر المكان بهدوء متوجّهًا نحو فتاة شقراء الشعر ، تجلس فوق صندوق خشبىّ صغير ، فجلس بجوارها ، وقال بهدوء :

ــ إنهم يطلبوننى حيًّا .. يا لها من مهزلة !!

ابتسمت الشقراء التى لم تكن سوى (منى توفيق) ، وقالت :

ــ يبدو أنهم قد أعدّوا لك برنامجًا حافلاً يا (أدهم) .

حرّك (أدهم) كتفيه دلالة على عدم الاهتمام ، وقال بجدّيّة :

ــ دَعيهم يفعلون ما يريدون يا عزيزتى .. المهم الآن هو أن نعثر على (يونيل هركابى) قبل أن يحل المساء ، وإلاّ أصبحت مهمتنا فاشلة تمامًا .

قلّبت (منى) كفيها ، وقالت فى حيرة :

ــ وأين يمكننا العثور عليه ؟.. لقد اختفى من منزله

تمامًا .. هل تتوقَّع أن نبحث عنه فى طول (هونج كونج) وعرضها ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال بسخرية :

ــ ما رأيكِ لو بحثنا عنه فى مكان واحد يا (منى) ؟

نظرت إليه بدهشة وتساؤل ، فاستطرد بهدوء :

ــ ماذا تفعلين لو أنك فى وضع (يونيل هركابى) ؟.. أنتِ فى بلد غريب ولا يمكنك الاستعانة برجال مخابرات دولتك ؛ لأنك تقومين بعمل يعد خيانة لهم ، وتمتلكين وثائق خطيرة تنوين بيعها فى المساء ، وخلفك رجل تخشينه تمامًا .. ما الحل الأمثل فى ظل هذه الظروف ؟

أعملت (منى) فكرها لحظات ، ثم قالت :

ــ لقد قام بالخطوة الأولى فعلاً ، ولا بد أنه دفع مبلغًا ضخمًا للمدعو (يانج هو) ، فى مقابل التخلُّص منك .

فرقع (أدهم) إصبعيه موافقًا ، وقال :

ــ تمامًا .. ولكنه فشل فى المحاولة الأولى والثانية ، ويحتاج فى الوقت نفسه إلى مكان أمين يختفى فيه ، حتى يحين موعد تسليمه الوثائق ، فما المكان الأمثل فى رأيك ؟

قالت (منى) بتردُّد :

ــ لو أنه يفكِّر بشكل سليم ، فإن أفضل مكان هو ....

وتوقَّفت عن إتمام عبارتها ، وارتسم القلق والخوف على وجهها ، فابتسم (أدهم) وهو يكمل العبارة قائلاً بمرح :

ــ أفضل مكانٍ هو حيث يوجد (يانج هو) هذا يا عزيزتى .. إننى واثق من هذا الأمر ، حتى أننى مستعد للمراهنة عليه بحياتى .

تردَّدت (منى) قبل أن تقول :

ــ لن يمكننا مطلقًا العثور على (يانج هو) هذا .. إنه ....

قاطعها (أدهم) قائلاً :

ــ بالعكس يا (منى) .. إن هذا الرجل معروف جدًّا فى (هونج كونج) .. ربما فى أوساط العصابات ، ولكنه معروف للدرجة التى تجعله يكتفى بذكر اسمه فقط فى الإعلان الذى يطالب فيه برأسى .

ظهر جزَع (منى) فى صوتها ، وهى تقول :

ــ (أدهم) .. لو أنك تفكِّر فى واحدة من تلك الوسائل المجنونة التى تلجأ إليها ، فإننى أرجو أن تصرفها عن ذهنك .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

ــ مستحيل يا عزيزتى .. لا يمكننى أن أسمح بإضاعة الفرصة الوحيدة للعثور على (يونيل) ، والحصول على المستندات .. لا بدَّ أن أصل إلى المكان الذى يقيم فيه (يانج هو) هذا ، مهما يكن الثمن .

أمسكت (منى) ذراعه ، وهى تقول بلهجة أشد جزَعًا :

ــ إنك تلقى بنا فى فم الأسد يا (أدهم) .. إن ما تقوله يعدّ انتحارًا .

صمت (أدهم) لحظة يتأمَّلها ، ثم قال بهدوء :

ــ لا يمكننى أن أسمح بفشل المهمة يا (منى) .. إن لدى خطة مضمونة للحصول على الوثائق أو تدميرها على الأقل ، ولا يعوق هذه الخطة سوى شىء واحد .

سألته (منى) ببطء وحذر :

ــ وما هو ؟

أشار إليها بسبابته ، وهو يقول بحزم :

ــ أنت .

اتسعت عيناها دهشة ، وصاحت :

ــ وكيف أعوقك أنا ؟

أمسك (أدهم) كتفيها براحتيه ، ونظر فى عينيها مباشرة وهو يقول :

ــ ستكونين الشىء الوحيد الذى يعوق حركتى يا (منى) .. سيمنعنى قلقى عليك من المجازفة ..

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تنظر فى عينيه نظرة تجمع بين الخوف والرجاء ، فاستطرد قائلاً بحزم :

ــ ستبتعدين هذه المرة .. وهذا أمر أيتها النقيب .. ستقيمين فى أحد غرف هذا الفندق الصغير ، أمامنا ، وستنتظريننى حتى الصباح ، فإذا لم أعـد ، فستستقلين الطائرة إلى القاهرة ، وتبلّغين الإدارة بفشل المهمة .

هتفت بصوت خافت تملؤه الدموع :

ــ لن يمكننى أن ....

قاطعها بحزم :

ــ ستنفّذين الأمر أيتها النقيب هذه المرة .. من أجل مصر .

ثم استطرد بصوت حنون :

ــ ومن أجلى .. حتى يمكننى أداء مهمتى دون خوف أو قلق .. هل تعديننى بتنفيذ ما أمرتك به حرفيًا ؟

أطرقت برأسها ، وقالت بصوت تخنقه الدموع :

ــ أعدك يا (أدهم) .

تنهّد بارتياح ، وقال :

ــ الآن يمكننى أن أبدأ تنفيذ خطتى .

* * *

ضرب (يونيل هركابى) قبضته فى الحائط بقوة ، وصاح بحنق :

ــ ها قد قاربت الشمس المغيب ، ولم يعثر رجالك بعد على (أدهم صبرى) يا (يانج) .. إنك لا تقدّر هذا الشيطان حقّ قدره .

ابتسم (يانج) ، وقال بهدوء مثير للأعصاب :

ــ يقول حكيمنا (كونفوشيوس) : « النصر لا يأتى لمن يتعجله » .

ضحك (يونيل) بطريقة تعبر عن سخطه وعصبيته ، وقال :

ــ إن (أدهم صبرى) لا يؤمن بحكيمكم هذا يا (يانج) .. إنه يحصل على النصر بسرعة تدهش المتمهّلين من أمثالك .

أغمض (يانج) عينيه ، وقال دون أن تختفى ابتسامته :

ــ إنكم تضفون على ضابط المخابرات المصرى هذا ما يفوق قدرات البشر يا مستر (يونيل) ، ترى هل يفزعكم إلى هذا الحدّ ؟

قال (هانك) بهدوء :

ــ لو أنك شاهدتـه يعمـل ، ما تحدثت بهذه الثقـة يا مستر (يانج) .

قال (يانج) :

ــ إن رجالى يقولون : إنه يعمل بصحبة امرأة .. هل هى صديقته ؟

حرّك (يونيل) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ بل هى زميلته فى المخابرات المصرية يا (يانج) .

ابتسم (يانج) ، وقال :

ــ لماذا لم تخبرونى بذلك منذ البداية أيها السادة ؟.. هذه الفتاة التى أهملتم ذكرها ، ستكون هى الخيط

الذى يقودنا إلى هذا الشيطان ، وسآمر رجالى بالبحث عنها فى كل شبر من أرض (هونج كونج) :

ثم انحنى وهو يتابع مبتسمًا :

ــ وستكون فرصة نادرة ، لاختبار أثر أحماضى القوية على أجساد النساء .

* * *





٦ ـ الخطأ القاتل ..

دار (أدهم) ببصره فى الميدان المزدحم ، ثم ابتسم بسخرية .. كان من الواضح أنه يقف فى أشد ميادين (هونج كونج) ازدحامًا ، وهذا هو المكان الذى يحتاج إليه .

وبهدوء تقدَّم من أحد صوره المعلَّقة على حائط أحد المحال التجارية ، وأشار إليها بإصبعه وهو يصيح بصوت تعمَّد أن يوصِّله لكل الآذان المحيطة به :

ــ يا إلهى !! إننى أعرف هذا الرجل ، وأعلم أين يختفى .

لم يكد (أدهم) ينتهى من عبارته ، حتى شعر بيد توضع على كتفه ، وسمع صوتًا يتحدَّث الإنجليزية بلكنة أبناء (هونج كونج) قائلاً :

ــ يسعدنى أن أستمع إليك أيها الرجل .. هاتِ ما عندك .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، واستدار بثقة يحدِّق فى وجه محدِّثه بتحدٍّ .. كان واثقًا من براعة تنكُّره ، حتى أنه أشار إلى صورته المعلَّقة ، وقال :

ــ إن الإعلان يتضمَّن مكافأة سخيَّة أيها الحقير ، ويحمل اسم (يانج هو) فقط ، وهو الوحيد الذى يمكننى إخباره بما لدى من معلومات .

قال الرجل بسخرية :

ــ يمكننى أن أوصِّلها إليه ، وأجنِّبك مشقة لقائه .

ضحك (أدهم) بسخرية ، ولكز الرجل بقبضته صائحًا :

ــ هل أخبرتك والدتك أن الأجانب أغبياء أيها الرجل ؟.. لن أتفوَّه بكلمة واحدة إلاَّ أمام (يانج هو) نفسه ، وإلاَّ ضاعت مكافأتى .

تبادل الرجل النظرات مع بعض المحيطين به ، ثم قال :

ــ حسنًا أيها الأجنبى .. ستقابل (يانج هو) ..

أما لو كانت معلوماتك سخيفة كأسلوبك فى الحديث ، فلا تلومن إلا نفسك ، فإن (يانج هو) لا يرحم من يخدعه .

* * *

كان عامل النظافة بالفندق الصغير يزيل بعض الغبار العالق بالمقاعد ، عندما ربِّتت يد قوية على كتفه ، وسمع صوتًا يقول :

ــ مساء الخير يا (سونج) .. هل حضر رجل وامرأة إلى هنا اليوم ؟

رفع (سونج) بصره يتأمَّل محدِّثه المفتول العضلات ، ثم ابتسم وقال :

ــ مرحبًا بك فى فندقنا المتواضع يا سيِّد (جروشيه) .. لا ريب عندى فى أنك تسأل عن ذلك الرجل الذى يطلبه (يانج هو) المبجَّل .

وافقه (جروشيه) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ــ لقد كانت معه امرأة لم نتعرَّف ملامحها بعد .. هل رأيتهما ؟

ظهر الخبث فى عينى (سونج) ، وهو يقول :

ـــ لم تلمحهما عيناى يا (جروشيه) المحترم ، ولكننى رأيت ما قد يمنحنى من أجله (يانج هو) العظيم مكافأة سخيَّة .

سأله (جروشيه) باهتمام بالغ :

ـــ ماذا لمحت يا (سونج) ؟.. تحدَّث ولا داعى لإضاعة الوقت .

اقترب منه (سونج) ، وهمس فى أذنه بلهجة خبيثة :

ـــ لقد رأيت امرأة لها عينان مختلفتان يا (جروشيه) المحترم .

زوى (جروشيه) ما بين حاجبيه ، وقال :

ـــ ماذا تعنى بهذه السخافة يا (سونج) ؟

انكمش (سونج) وهو يقول :

ـــ عفوًا يا (جروشيه) المحترم .. لقد رأى عبدك (سونج) امرأة لها عين زرقاء وأخرى سوداء ، وظن

بعقله المتواضع أنها قد تكون متنكِّرة ، وسقطت عدستها عفوًا .

حدَّق فيه (جروشيه) بدهشة ، ثم قال بانفعال :

ـــ إنها معلومة عظيمة يا (سونج) ، وسيكافئك عنها (يانج) بسخاء ، لو أنها نفس المرأة .. أين هى ؟

انفرجت أسارير (سونج) ، وهو يقول :

ـــ فى الغرفة رقم ثلاثة من الطابق الثانى يا (جروشيه) العظيم .

* * *

كانت (منى) تسير فى غرفتها بقلق ، وهى تفكِّر فيما يفعله (أدهم) فى هذه اللحظة ..

كانت تعلم أن إقصاءه لها يعبر عن عواطفه نحوها ، وعن رغبته فى العمل بحرِّيَّة ، ولكن مجرد تفكيرها فى المخاطر التى قد تواجهه ، يجعل قلبها ينبض بخوف وجزع .. إنها تعلم أن (أدهم) لن يتوانى فى عمله ، ولن يتقبَّل الفشل ، بل سيقاتل حتى النهاية ، وإن

اضطره الأمر للتضحية بحياته نفسها ، وكانت تعلم مدى حبه وانتمائه لمصر ، وتعلم أن هذا هو مصدر قوته وتفانيه فى كل مهمة تسند إليه .. وعلى الرغم منها سالت من عينيها الدموع ، وألقت بنفسها على طرف الفراش ، وهى تهتف من أعماق قلبها :

ـــ ساعده يا إلهى .. وفِّقه يا ربِّ فى مهمته من أجلى .. ومن أجل مصر .

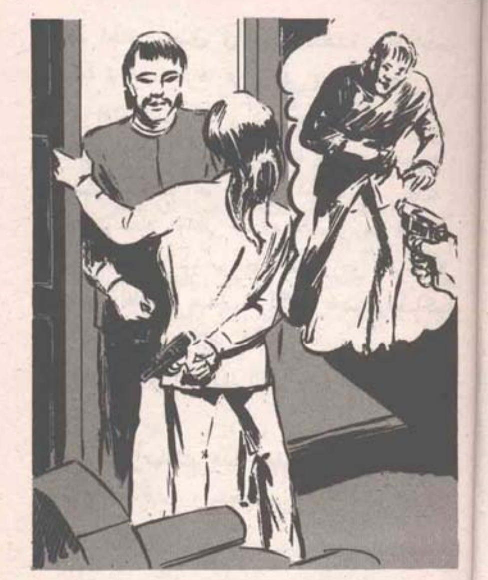
أخرجها من أفكارها صوت طرقات على باب الغرفة ، فأسرعت تخرج من حقيبتها مسدسها الصغير ، وجففت عبراتها وهى تقترب من الباب قائلة :

ـــ من بالباب ؟

جاءها صوت مهذَّب يقول :

ـــ خدمة الفندق يا سيِّدتى ، نحتاج إلى توقيعك على بعض الأوراق .

أخفت (منى) مسدسها خلف ظهرها ، وفتحت الباب بهدوء ، فوجدت أمامها رجلاً مفتول العضلات ،



أخفت (منى) مسدسها خلف ظهرها ، وفتحت الباب بهدوء ، فوجدت أمامها رجلاً مفتول العضلات ..

ضخم الجثة ، حدّق فى عينيها بدهشة ، ثم ابتسم ابتسامة لم يغب مغزاها عن (منى) ، وهو يقول :

ــ إذن فأنت رفيقة (أدهم صبرى) .

تحرّكت يد (منى) الممسكة بالمسدس بسرعة ، وأطلقت رصاصة نحو الرجل أصابته فى معدته ، فجحظت عيناه ، وانثنى جسده للأمام ، وهو يحدّق فى وجهها بذهول ، وبرز من خلفه فجأة رجل آخر ، ركل مسدسها وأطاح به بعيدًا ، ثم لكمها بقسوة وقوة لكمة قوية ألقت بها على الأرض فاقدة الوعى ..

التفت الرجل إلى رفيقه الذى يتأوّه ألمًا ، وقال له بشراسة :

ــ لقد أصابتك هذه الحقيرة يا (جروشيه) .. سنسرع بإسعافك ، وسينتقم منها (يانج) شرّ انتقام .

* * *

٧ ــ لقاء الأعداء ..

قاد الرجال الأربعة (أدهم صبرى) ، فى عدد كبير من الأزقة المتداخلة المعقدة ، دون أن يتصوّر أحدهم أنهم يقودون الرجل الذى تبحث عنه (هونج كونج) بأكملها .. وأخذ عقل (أدهم) يعمل بأقصى طاقاته ، محاولاً استيعاب وتذكُّر كل زقاق ينعطفون إليه ، وبالرغم من ذلك ظلت ملامحه جامدة هادئة ، لا تنم عما يعتمل بداخله ..

وبعد ساعة كاملة من السير داخل شبكة الأزقة المعقّدة المتداخلة ، وقف الرجال الأربعة أمام باب خشبىّ متهالك ، وطرق أحدهم بهدوء أربع طرقات متباعدة ، ولم يكد ينتهى من آخرها حتى فتحت الباب سيدة عجوز شمطاء ، تغضّنت ملامحها ، وانحنى ظهرها ، وبرزت عظامها بفعل سنوات عمرها التى

تجاوزت التسعين بلا ريب ، فقال لها أحد الرجال :

ــ أجنبى لديه معلومات عن الطريدة ، ويصرّ على تقديمها لـ (يانج) بنفسه ، ضمانًا لمكافأته .

تفرّست العجوز فى ملامح (أدهم) ، بعينين غائرتين محمرتين ، ثم أشارت بإصبع يدها المعروقة إلى باب خشبىّ آخر ، تبدو عليه آثار العناية من حيث الطلاء والسُّمك .

تقدّم الرجال الأربعة ووسطهم (أدهم) إلى الباب الخشبىّ ، وفتحوه ليتجاوزوه ببساطة تدل على أنهم قد اعتادوا ذلك ، أما (أدهم) فقد اتسعت عيناه دهشة ، إذ أن ما وراء الباب لم يكن يشبه بأى حال ما أمامه ..

كان الباب يقودهم إلى ما يطلق عليه الأدباء اسم الحديقة الغنّاء .. قاعة فسيحة بشكل كبير ، تناثرت فى أنحائها زهور مختلفة الأنواع والأشكال ، تتفق جميعها فى أنها باهرة الحسن والجمال ، وإلى يسارها اصطفت

مجموعة من النباتات الاستوائية ، ذات الأوراق العريضة ، داخل صوْبة زجاجية تمدّها بعض المصابيح القوية بالحرارة والضوء اللازمين ، والأرضية كلها مصنوعة من الرخام الأسود ، تشعّبت فيه بعض الخطوط البيضاء والرمادية بشكل هادئ جميل ، وتتوسّطها نافورة تمثل تنّينًا أسطوريًّا تندفع من جوفه المياه ، التى سلّطت عليها عدة مصابيح ملونة ، منحتها مظهرًا بهيجًا .. وفى نهاية القاعة صفّ من الأعمدة الرخامية البيضاء ، يفصل بينها وبين قاعة أخرى ، جلس بها (يانج هو) و (يونيل) و (هانك) و (آرثر) .

تبع (أدهم) الرجال الأربعة إلى حيث يجلس أعداؤه ، وانحنى الجميع عدا (أدهم) أمام (يانج هو) ، وقال أحدهم :

ــ مساء الخير يا (يانج هو) العظيم .

ثم أشار إلى (أدهم) ، واستطرد قائلاً :

ــ هذا الأجنبى يدّعى أنه يحمل معلومات عظيمة

بشأن الطريدة ، ويرفض أن يتحدَّث بها لسواك .

صاح (يونيل) بلهفة ، وهو يتعلَّق بذراع (أدهم) :

ـــ أين هو أيها الرجل ؟

أزاحه (أدهم) بقسوة ، وهو يقول :

ـــ مهلاً يا رجل .. أيكم (يانج هو) ؟

ابتسم (يانج) بهدوء ، وهو يتفحص (أدهم) بعينين ثاقبتين ، ثم قال :

ـــ أنا هو أيها الرجل .. من أى البلاد أنت ؟

زمجر (أدهم) متظاهرًا بالغضب ، وهو يقول :

ـــ وما الذى يعنيك فى ذلك ؟. هل ستتغيَّر قيمة المكافأة تبعًا للمكان الذى ولدت فيه ؟

تجاهل (يانج) عبارة (أدهم) الغاضبة ، وسأله بهدوء :

ـــ أإنجليزى أنت أم أيرلندى ؟

أشار إليه (أدهم) بسبَّابته قائلاً :

ـــ دَعْكَ من مسقط رأسى أيها الصِّينى ، وأخبرنى .. هل تنوى دفع مبلغ المكافأة فعلاً ؟

استمر (يانج) فى تجاهله لحديث (أدهم) ، وهو يستطرد :

ـــ إن بشرتك البيضاء تشير إلى بشرة سكان تركيا وبحر البلطيق ، ولكن شعرك الكستنائى يشير إلى أصل إنجليزى أو أيرلندى ، أما العينان الزرقاوان فتشيران إلى شمال أوربة .. عجبًا .. من أى البلاد أنت يا سيِّد ؟.. وبالمناسبة إننا لم نتشرَّف بمعرفة اسمك بعد .

تمتم (أدهم) بصوت ينمُّ عن الضجر :

ـــ (جورج كرينهال) .

رفع (يانج) حاجبيه ، واتسعت ابتسامته وهو يقول :

ـــ عجبًا .. إن اسم (جورج) إنجليزى أصيل ، أما لقب (كرينهال) فهو فرنسى على الأرجح .. أنت خليط عجيب من الجنسيات يا مستر (كرينهال) .

كان حديث (يانج) يقلق (أدهم) جدًّا ، فهو يمنعه من التركيز على (آرثر) .. كان يحاول الربط بين وجه جديد يقتحم المغامرة وجلوس (يونيل) فى هذا المكان ، برغم قرب حلول المساء .. وفجأة سطع ضوء فى عقله فابتسم بسخرية .. لم يكن لديه شك فى أن (آرثر) هذا هو عميل (سكوربيون) الذى حضر لتسلُّم الوثائق .. إذن فالوثائق فى داخل هذا المكان .. فى جيب (يونيل) ، أو سترة (آرثر) ، ولا بدَّ له من الحصول عليها .

شعر فى تلك اللحظة أن خطوة القدوم إلى هنا كانت ناجحة للغاية ، لم يبق لنجاح المهمة سوى أن يغادر هذا المكان سالمًا .. ولكن كيف ؟

قطع أفكاره صوت (يانج) الهادئ ، وهو يقول :

ـــ إلى أين شرد ذهنك يا مستر (كرينهال) ؟.. كنت أسألك عما لديك من معلومات بشأن الرجل الذى نبحث عنه .

قال (أدهم) بهدوء :

ـــ لقد أصابنى الملل من أسئلتك المتكرِّرة ، حتى أننى أفكر فى الرحيل من هذا المكان السخيف .

صاح (يونيل) بحنق :

ـــ هل تجرؤ على العبث بنا أيها الرجل .. أخبرنا فى الحال .. أين هو (أدهم صبرى) ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، واستدار وكأنه يهمّ بمغادرة المكان ، فقال (يانج) :

ـــ لحظة يا مستر (كرينهال) .. هل لك أن تلقى نظرة هنا ؟

استدار (أدهم) ينظر إلى حيث أشار (يانج) ، وسرعان ما قطَّب حاجبيه عندما انزاحت قطعة مستديرة من رخام الأرضية ، كاشفة عن الفجوة التى تمتلئ بالحامض القاتل ..

فقال (أدهم) بسخرية :

ـــ هل تحب أن أشاهدك تستحمَّ فى هذا الحامض؟. أم ماذا تحب أيها الصِّينى ؟

برقت عينا (يانج) ، وهو يقول مبتسمًا :

ــ إذن فأنت تعلم ماذا يملأ الفجوة بمجرد النظر .. هذا عظيم .. فيمَ تعمل يا مستر (كرينهال) ؟

تقدم (أدهم) نحو (يانج) ، قائلاً بسخرية :

ــ اسمع أيها الصينى .. لقد أثرت حنقى من كثرة الأسئلة التى توجِّهها إلىَّ ، حتى لقد خيِّل لى أننا فى مركز للشرطة .

ضاقت عينا (هانك) وهو يحدِّق فى خطوات (أدهم) بتركيز ، وفتح (آرثر) فمه ، وكأنه يهمّ بالكلام ، على حين قفز (يونيل) من مقعده ، وأمسك بذراع (أدهم) صائحًا بغضب :

ــ كُفَّ عن سخريتك هذه أيها الرجل ، وأخبرنى أين هو (أدهم صبرى) ، وإلا ألقيت بك فى هذه الفجوة .

كانت الحدَّة التى استخدمها (يونيل) ، هى المبرر الذى ينتظره (أدهم) ليفتعل معركة تمكِّنه من البحث

عن الوثائق فى ملابس (يونيل) أو (آرثر) .. فاستدار بسرعة البرق ووجه لكمة قوية إلى فك (يونيل) ، أطاحت به ثلاثة أمتار إلى الوراء ، واتسعت لها عيون الجميع دهشة ، وقفز (هانك) على قدميه صائحًا :

ــ اقبضوا على هذا الرجل .. إنه (أدهم صبرى) .

* * *

كانت خطوات (أدهم) أسرع ألف مرة من حركة (هانك) ، فقبل أن ينتهى هذا الأخير من نطق اسمه ، حمله (أدهم) من سترته كالريشة ، وألقى به نحو الرجال الأربعة الذين أسرعت أيديهم إلى أسلحتهم ، فارتطم بهم وسقط الجميع أرضًا ، فى نفس اللحظة التى دار فيها (أدهم) على أطراف أصابعه كراقصى الباليه ، وركل المسدس الذى انتزعه (آرثر) من سترته ، ثم وجَّه إليه لكمة قوية هشَّمت بعض أسنانه ، وملأت فمه بالدماء ، ولم ينتظر حتى سقوط (آرثر) على الأرض ،

بل عبر الفجوة المملوءة بالحامض فى قفزة واحدة ، ولكم (يانج) فى فكِّه قبل أن يقوم من مقعده لكمة أصابته بالإغماء ، واستدار مواجهًا الرجال الأربعة و (هانك) ...

استل ثلاثة رجال خناجرهم ، وقبض الرابع على مقبض مسدسه ، وصاح (هانك) بصوت مرتعد وهو يشير إلى (أدهم) بأصابع مرتجفة :

ــ عليكم به .. سأمنح من يقتله منكم عشرة آلاف إضافية .

قذف الرجال الثلاثة خناجرهم نحو (أدهم) ، وأطلق الرابع مسدسه .. كان كل منهم يمنِّى نفسه بالقضاء على (رجل المستحيل) .

* * *



عبر الفجوة المملوءة بالحامض فى قفزة واحدة ، ولكم (يانج) فى فكِّه قبل أن يقوم من مقعده ..

٨ ــ فجوة الموت ..

ليس من المبالغة أن نقول : إن أسلوب (أدهم صبرى) القتالى مذهل .. يكفى أن يرى الإنسان مرة واحدة سرعة استجابته المدهشة ومرونته الجسدية الجبّارة ، حتى يؤمن تمامًا أن وصف أسلوبه بالمذهل وصف متواضع جدًّا .

فما أن انطلقت الخناجر الثلاثة والرصاصة القاتلة نحوه ، حتى عمل عقله بسرعة تفوق أحدث أجهزة الكمبيوتر ، فقدّر فى الحال أن سرعة الرصاصة تفوق سرعة الخناجر ، واتخذ الخطوات المناسبة التى تمكّنه من تفادى الجميع ، وهنا يأتى دور الصفة العجيبة التى وهبها الله (سبحانه وتعالى) لـ (أدهم صبرى) ، فلقد أصدر مخه الأمر لأطرافه ، فأطاعت بسرعة تفوق سرعة الرصاصة المنطلقة ، وقفز إلى أعلى مائلاً نحو

اليسار ليتفادى الرصاصة ، ثم ثنى ساقيه فى الهواء ليتجاوزه خنجران ، والتقط الثالث بأصابع خبيرة ، قبل أن تستقر قدماه مرة ثانية على الأرض ..

اتسعت عيون الرجال الأربعة و (هانك) ذهولاً ، وجمدت أصابع الرجل الذى يمسك المسدس فوق زناده ، وقذف (أدهم) الخنجر الذى التقطه بمهارة وحنكة لينغرز فى يد الرجل ، فصرخ ألمًا ، وأفلت المسدس من بين أصابعه ، وقفز (أدهم) نحو الخمسة قفزة صوّرته لهم فى صورة شيطان مارد ، قَدِمَ خصيصًا ليصحبهم إلى الجحيم ، جزاء ما اقترفته أيديهم ..

تهشّم فكّ (هانك) وأنفه ، واختلطت عظامه بلحمه ودمائه ، وشعر الرجل الأول بلكمة تنقض على معدته ، ثم تحطّم فكّه ، وتلقّى الثانى لكمة فنية قاضية على مؤخرة عنقه ، أما الثالث فيقسم أن مطرقة هوّت على وجهه قبل أن يفقد وعيه ، وتحطّم عنق الرابع بلكمتين لا يمكن أن يصمد أمامهما حصان قوى ..

استقر (أدهم) على قدميه وسط الأجساد المتناثرة على الأرضية ، وابتسم ساخرًا وهو يقول :

ــ ها قد وفّرت لك عشرة آلاف من الجنيهات الاسترلينية أيها القزم .

ثم استدار وسار بخطوات هادئة إلى حيث يرقد (يونيل) فاقد الوعى ، وانحنى يفتش ملابسه ، بأصابع خبيرة ، ولم يلبث أن زوى ما بين حاجبيه قائلاً :

ــ تُرَى ، هل يؤكد عدم وجود الوثائق بحوزته كون الرجل الآخر هو مندوب (سكوربيون) ؟

وتحوّل إلى (آرثر) يفتش ملابسه بدوره ، وابتسم وهو يتناول مظروفًا منتفخًا من جيب سترة (آرثر) ، أسرع يفضّه ويطلع على محتوياته ، ثم ضحك بسخرية ، وقال بصوت مسموع :

ــ معذرة أيها الوغد .. يمكنك أن تخبر (سكوربيون) أن (أدهم صبرى) قد حصل على ما يبتغيه ، ولم يبق أمامه سوى مغادرة هذا الوكر القذر .

وفجأة سمع صوت (يانج) يأتى من خلفه هادئًا وهو يقول :

ـــ محال يا مستر (صبرى) .. ما لم أسمح لك .

* * *

استدار (أدهم) بسرعة وتحفز ، ثم ابتسم بسخرية عندما وقعت عيناه على (يانج هو) جالسًا على مقعده بهدوء ، وممسكًا فى قبضته بمسدس ضخم من النوع الشديد الفتك ..

وبهدوء وسخرية قال (أدهم) :

ـــ فيمَ انتظارك أيها الحقير ؟.. لِمَ لا تطلق رصاصاتك على جسدى ؟

قال (يانج) بهدوء :

ـــ فكرة لا بأس بها يا مستر (صبرى) ، ولكننى أدخر لك ميتة أخرى تليق برجل مثلك .

ألقى (أدهم) نظرة سريعة على فجوة الحامض ، وقال متهكّمًا :

ـــ لا أظن أنك ستطلب منِّى أن أبحث لك عن قطعة من النقد فى أعماق هذه الفجوة يا ملك المهرِّجين .

ابتسم (يانج) وهو يقول بنفس الهدوء :

ـــ حتى قطعة النقد لا يمكنها الصمود أمام حامضى القوى يا مستر (صبرى) .

سمع كلاهما صوت (يونيل) يتأوّه وهو يفيق من غيبوبته ، فابتسم (أدهم) ، وقال ساخرًا :

ـــ يبدو أننى لم أعد أجيد تقدير قوة لكماتى ، فلقد كنت أظن أنكم لن تستيقظوا قبل مرور ساعة على الأقل .

قال (يانج) :

ـــ ربما كان هذا صحيحًا بالنسبة لهؤلاء الحمقى الأربعة والسيد (هانك) ، أما أنا ومستر (يونيل) ومستر (آرثر) فبنيتنا قوية ، و ....

قاطعه (أدهم) قائلاً بسخرية :

ـــ بسبب عقولكم الفارغة .. أليس كذلك ؟

لم يختف هدوء (يانج) وهو يقول :

ـــ من كلمات حكيمنا (كونفوشيوس) : « أن الوعاء الفارغ يصنع ضجيجًا أقوى من الوعاء الممتلئ » ، وأنت تصنع الكثير من الضجيج يا مستر (صبرى) .

وفى تلك اللحظة صاح (يونيل) ، وهو يحدِّق فى الوثائق التى يمسك بها (أدهم) :

ـــ يا للشيطان !! لقد حصل على الوثائق ، أطلق النار عليه يا (يانج) .. اقتله فى الحال .. لن يمكنك تعويض هذه الفرصة .

هزَّ (يانج) رأسه وهو يقول :

ـــ إن المسدس طريقة تافهة لا تليق بـ (يانج هو) العظيم .

صاح (يونيل) بغضب عارم :

ـــ يا للشيطان !! ستخطئ نفس الخطأ الذى يقع

فيه الجميع .. اقتل هذا الرجل فى الحال أو أقضى عليه بيدىَّ العاريتين .

ثم التقط فى غمرة غضبه أحد الخنجرين من فوق الأرضية ، واندفع كالثور الهائج نحو (أدهم) ، الذى قفز جانبًا متفاديًا إيَّاه ، ثم لكمه فى منتصف ظهره وهو يقول ساخرًا :

ـــ ينبغى أن تحمل ترسانة أسلحة كاملة لا خنجرًا واحدًا ، عندما تهاجم (أدهم صبرى) يا (يونيل) ، حتى تكون أمامك فرصة للفوز .

ارتج المكان بصرخة فزع ورعب انطلقت من حنجرة (يونيل) ، فقد ألقى به اندفاعه نحو فجوة الحامض ، وتصارعت ذراعاه فى الهواء فى محاولة يائسة للتشبث بمنقذ وهمىّ ، إلاّ أن الأرضية الرخامية الملساء لم تمنحه الفرصة الكافية للنجاة ، فسقط جسده داخل الفجوة المملوءة بالسائل القاتل ..

قفز (أدهم) مبتعدًا ، عندما تناثر الحامض فور

سقوط (يونيل) فى الفجوة ، ولكن ذلك لم يمنع من أن يصيبه بعض الرَّذاذ المتناثر ، وشعر بألم الاحتراق الشديد فى بشرته ، وتصوَّر لحظتها ما يحدث لجسد (يونيل) ، الذى انقطعت صرخته الملتاعة بغوصه فى الحامض ، الذى تصاعدت منه الأبخرة ، وملأت المكان برائحة هى مزيج من رائحة الشواء والزيت المحترق ..

تحرَّك (أدهم) حركة غريزية ، وكأنه يهم بمحاولة إنقاذ (يونيل) ، إلاَّ أنه سمع صوت (يانج) هادئًا يقول :

ـــ لا فائدة يا مستر (صبرى) .. لن يتبقَّى منه حتى العظام .

التفت إليه (أدهم) ، وقال بحنق :

ـــ بهذه البساطة ؟

ابتسم (يانج) وقال بهدوء :

ـــ لقد قتلته حماقته ، وقتله تسرُّعه يا مستر (صبرى) .. ماذا يمكننى أن أفعل فى هذا الشأن ؟

كان (آرثر) قد عاد إلى وعيه فى هذه اللحظة ، فقال بدهشة :

ـــ ماذا حدث ؟.. لماذا لم تقتل هذا الرجل يا (يانج) ؟

ابتعدت عينا (يانج) لجزء من الثانية عن (أدهم) ، وهو ينظر نحو (آرثر) ، وكانت فرصة لا تعوَّض بالنسبة لـ (أدهم) ، فقفز متخطِّيًا الفجوة نحو (يانج هو) ، ولكمه فى أنفه ، ثم التقط مسدسه وقفز إلى الوراء مصوِّبًا إيَّاه نحو (يانج) و (آرثر) .

* * *

حدَّق (يانج) و (آرثر) فى المسدس الذى يحمله (أدهم) بذهول ، وتمتم (آرثر) ببضع كلمات ساخطة ، فابتسم (أدهم) ساخرًا ، وقال لـ (يانج) :

ـــ أنت تلميذ عنيد يا ملك المهرجين .. كان ينبغى أن تستمع إلى قول (يونيل) قبل أن يسقط فى

الفجوة .. إن الطريقة الوحيدة لقتل (أدهم صبرى) ، هى عدم التردُّد لجزء من الثانية عندما تحين الفرصة .

جحظت عينا (آرثر) وهو يقول بدهشة :

ـــ هل سقط (يونيل) فى فجوة الحامض ؟

قال (أدهم) بسخرية :

ـــ لقد فعل ذلك بكامل إرادته ، ولم يدفعه أحد إلى ذلك أيها العقرب .

قال (يونج) بهدوء :

ـــ احذر يا مستر (صبرى) ، يقول (كونفوشيوس) : « الغرور هو أول مسمار فى نعش النجاح » .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ـــ إذن فقد اكتمل نعشك يا ملك المهرجين .

ابتسم (يانج) وقال بهدوء :

ـــ هل تظن ذلك يا مستر (صبرى) ؟

ثم جذب مسند مقعده بقوة ، وهو يقول :

ـــ هل لك أن تلقى نظرة على سقف القاعة يا مستر (صبرى) ؟.. أؤكد لك أن الأمر ليس خدعة على الإطلاق .

تطلَّع (أدهم) إلى سقف الغرفة ، والتقى حاجباه بتساؤل ، عندما انزاح جزء من السقف بهدوء ، وتدلَّت منه ساقان ، أعقبهما جسم امرأة مقيَّدة من معصميها ومعلَّقة بسلسلة معدنية ، وما أن رآها (أدهم) حتى قفزت لوعته إلى شفتيه ، وهو يهتف بجزع عبَّر عن كل ما يجيش فى نفسه :

ـــ يا إلهى !! (منى) ؟!

* * *



أعقبهما جسم امرأة مقيّدة من معصميها
ومعلقة بسلسلة معدنية ..

٩ ـ الاختيار المرّ ..

تدلّى جسد (منى) ساكنًا ، وهى مقيدة من معصميها بسلسلة معدنية ضخمة ، تصل إلى مكان ما بأعلى سقف القاعة ، فوق الفجوة تمامًا ، وكان واضحًا من شعرها المنكوش وملامحها المنهكة ، ما لقيته من ألم وعذاب فى وكر (يانج هو) .. وخفق قلب (أدهم) عندما رأى النظرة الحزينة اليائسة التى تطلّ من عينيها ، والألم المرتسم على وجهها ، فضغط على أسنانه ، وصوَّب مسدسه نحو (يانج) قائلاً بقسوة :

ـ أطلق سراحها أيها الوغد ، وإلاّ حطّمت رأسك برصاصات هذا المسدس .

ابتسم (يانج) ، وقال بهدوء :

ـ لن تجرؤ يا مستر (صبرى) .. ألا تعلم أن مقعدى هذا مزوَّد بزرّ يفصل الحلقة الأخيرة من

السلسلة فتسقط رفيقتك مباشرة فى الفجوة ، ويلتهمها الحامض القوى فى ثانية واحدة ؟

تردَّد (أدهم) وهلة ، فاستطرد (يانج) بهدوء :

ـ هل تعلم لماذا أقبض بأصابعى على مسند مقعدى دون أن أمسّه براحتى ؟.. لأن الزرّ الذى أخبرتك به تحت راحتى مباشرة .

جذب (أدهم) إبرة الأمان بمسدسه ، وهو يحكم تسديده نحو رأس (يانج) ، إلاّ أن هذا الأخير ضحك قائلاً :

ـ لا تحاول يا مستر (صبرى) .. أنت تعلم أنه هناك ما يسمى بالتخشُّب اللحظى ، الذى يحدث عند الموت المفاجئ ، ولو أنك أطلقت النار على رأسى ، ستضغط راحتى حتمًا على الزرّ ، فتسقط رفيقتك فى الفجوة .

شعر (أدهم) بحيرة بالغة ، وهو ينقل بصره بين (منى)و(يانج)،ولكنه سمع (منى) تقول بضعف :

ـ هل حصلت على الوثائق ؟

رفع إليها يده التى تحمل المظروف وهو يومئ برأسه ، فأرغمت نفسها على الابتسام ، وقالت :

ـ لا تطعمها إذن .. لقد نجحت المهمة ، ولا تسمح بفشلها من أجلى .

تدخل (آرثر) قائلاً :

ـ هل ستضحّى برفيقتك من أجل الوطن ؟..

لم يطل تردُّد (أدهم) ، فألقى مسدسه بجوار الفجوة ، وهو يقول بسخرية :

ـ معذرة يا عزيزتى ، فالوطن لن يموت إذا لم نحصل على الوثائق .

تنهَّد (آرثر) بارتياح ، وقال :

ـ تصرُّف حكيم يا مستر (أدهم) .

ثم ابتسم وهو يقول :

ـ قبل أن تموت ، يلذّ لى أن أخبرك بالسبب الذى دفعنا لقتلك .. هل تذكر ما فعلته فى جزيرة

(تيرور) ؟.. هل تذكر صراعك مع منظمتنا المعروفة باسم (سكوربيون) .. إن اسم منظمتنا يعنى فى لغتكم (العقرب) يا مستر (أدهم) .. والعقرب حشرة شديدة السُّم ، لا تتورَّع أبدًا عن الانتقام ممن يسيئون إليها .

وأشار نحو (يانج) ، وهو يقول بفخر :

— ومن دواعى فخرنا أن (يانج هو) ملك (هونج كونج) غير المتوَّج ، هو أهم رجال (سكوربيون) فى آسيا بأكملها .

ابتسم (أدهم) ، وقال بسخرية :

— هذا البلياتشو ؟!

قال (يانج هو) :

— لا تنس أن هذا البلياتشو هو أول من يهزمك ، بعد أن حيَّرت مخابرات دولة بأكملها يا مستر (صبرى) .

نظر (أدهم) إلى (منى) ، وابتسم بحنان ، ثم

عاد ينظر نحو (يانج) و (آرثر) ، ويقول بلهجة غامضة :

— حقًّا ؟!

ابتسم (آرثر) ، وقال وهو يتجه نحو المسدس الملقى ، ويتناوله بهدوء :

— حقًّا يا مستر (أدهم) .. لقد انتهت مغامراتك أسوأ نهاية .

عجبت (منى) لصمت (أدهم) واستكانته ، وتساءلت بينها وبين نفسها : هل استسلم حقًّا ؟. أم يعد خطة لمعاودة الهجوم ؟ ولاحظت أنه ينظر نحو الفجوة ، وقد التقى حاجباه بشكل غامض ..

أما (أدهم) فقد كان يدرس أرض المعركة كما يقولون .. لاحظ فى البداية أن فجوة الموت مستديرة ، يصل اتساعها إلى ثلاثة أمتار تقريبًا ، أى بنصف قطر متر ونصف ، وأن (آرثر) يقف إلى يساره على بعد مترين ، أو أقل قليلاً ، ويمسك بيده مسدسًا به خمس

رصاصات ، أما (يونج هو) فيجلس أمامه على بعد خمسة أمتار ، وتفصله عنه فجوة الحامض .. ثم عاد ينظر إلى (منى) المعلَّقة فوق الفجوة على ارتفاع ثلاثة أمتار ...

حاول (أدهم) أن يصل إلى خطة مضمونة ، حتى تأمن (منى) الأذى .. كان قد تظاهر بالاستسلام فى محاولة لكسب الوقت ؛ حتى يمكنه إعداد خطَّته بصورة لا تقبل الفشل ..

وقطع أفكاره صوت (آرثر) يقول :

— لا ريب أنك تشعر بالندم الآن ، على محاربتك لمنظمة (سكوربيون) يا مستر (أدهم) .

ثم ضحك وهو يستطرد ساخرًا :

— كان ينبغى أن تدرك أن هزيمة (سكوربيون) مستحيلة ، يا ضابط المخابرات المصرى .

وقبل أن يصل (أدهم) إلى الخطَّة التى ينشدها ، فوجئ بـ (آرثر) يصوِّب إليه مسدسه ، ويقول موجهًا حديثه إلى (يانج) :

— بعد إذنك يا (يانج) المحترم .

انحنى (يانج) وهو يبتسم بهدوء قائلاً :

— إنه لك يا مستر (آرثر) .. تفضل .. أنت ضيفى .

ابتسم (آرثر) ابتسامة تجمع بين الشماتة والسخرية ، وهو يجذب إبرة الأمان بمسدسه قائلاً :

— وداعًا يا مستر (أدهم) .. بلِّغ تحياتى إلى رفاقنا فى الجحيم .

* * *

تحرَّك (أدهم) فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها أصابع (آرثر) على زناد مسدسه ، فقفز إلى اليمين متفاديًا الرصاصة التى انطلقت نحوه ، ثم قفز نحو (آرثر) ، وركل المسدس من يده إلى أعلى ، وكال إليه لكمة ساحقة ، جعلته يرتطم بأحد الأعمدة الرخامية ، ويسقط فاقد الوعى ، وقبل أن تستقر قدما (أدهم) على الأرض مال بجسده إلى اليسار ، والتقط المسدس

قبل أن يسقط على الأرض ، وما أن لمست قدماه أرض القاعة حتى غاص بجسده إلى أسفل ، وأطلق رصاصة مُحكمة اخترقت رأس (يانج) ، الذى تشنَّجت عضلاته ، وجحظت عيناه ، وضغطت راحته بفعل التخشُّب اللحظى على الزِّرّ المثبت فى مسند مقعده ..

وأمام عينى (أدهم) ، انفصلت الحلقة التى تربط (منى) فى السلسلة المدلاة من سقف القاعة ، وهوَى جسدها من ارتفاع ثلاثة أمتار ، نحو الفجوة الممتلئة بسائل الموت .

* * *



١٠ ـــ المعجـزة ..

لا ريب أن ما حدث فى اللحظة التالية لانفصال الحلقة ، وسقوط (منى) نحو الفجوة القاتلة ، لن ينمحى من ذاكرتها ، ما دام فى صدرها نفس يتردَّد .. فلقد انطلق (أدهم) نحو الفجوة ، بسرعة تفوق أضعاف ما يمكن أن ينطلق به بطل العالم فى العَدْو ، ثم قفز فى الهواء ، واحتضن جسد (منى) ، التى خفق قلبها من شدة الخوف والوجل ، وهى تسقط .. ولكنها فوجئت بجسدها يندفع إلى الجانب الآخر من الفجوة ، و (أدهم) يحيطها بذراعيه ، وكأنه يطير ولا يقفز ، ثم دار بجسده دورة يجزم محترفو رياضة الجمباز أنها مستحيلة ، وسقط كلاهما على الجانب الآخر ، دون أن يمسهما الحامض القاتل بأدنى بسوء ...

حدَّقت (منى) فى وجه (أدهم) ، وصاحت

بصوت متلجلج من شدة الانفعال :

ـــ كيف ؟.. كيفَ فعلت ذلك ؟

برقت عيناه بالسعادة والنصر وهو ينظر إليها لاهثًا .. كان من الواضح أن ما فعله يعد بمثابة المعجزة ، فقد تجاوز (أدهم صبرى) فى جزء من الثانية ، أقصى الطاقات المعروفة للجسد البشرى ، حتى أنه أخذ يلهث بشدة ، وكأن خلاياه قد استنفدت قواها .. وما أن هدأت أنفاسه حتى ابتسم ، وقال بحنان وهو ينظر إلى (منى) ، التى لم تزل دهشتها بادية :

ـــ لست أدرى .. لعلّنى خشيت أن أفقدك مرة ثانية يا عزيزتى .

بدأ ذهول (منى) يتلاشى ، وهى تقول :

ـــ هل تعلم أن عجلة الجاذبية الأرضية ، تساوى اثنين وثلاثين قدمًا فى الثانية الواحدة ؟.. أى أن جسدى كان يسقط بسرعة تقل قليلاً عن الأمتار العشرة

فى الثانية .. هل تعلم ماذا يعنى ذلك ؟

حرَّك رأسه نفيًا بهدوء ، وهو يبتسم قائلاً :

ـــ لا .. لست أعلم .

ثم أخذ يحل قيودها ، وهى تقول بمزيج من الدهشة والإعجاب الشديدين :

ـــ إنه يعنى أنك قد فعلت ذلك فى أقل من ثلث الثانية ، وهذا مستحيل .. إنها معجزة .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـــ ربما .. ولكن المعجزة الحقيقية ستكون فى خروجنا من هذا المكان أحياء يا عزيزتى .

* * *

مضت فترة من الصمت ، قبل أن تقول (منى) :

ـــ هل لاحظت يا (أدهم) أن رجال (يانج هو) لم يتدخَّل أحد منهم ، برغم الرصاصة التى أطلقتها على (يانج) ؟

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

— نعم .. لقد لاحظت ذلك يا عزيزتى ، وأعتقد أن لدىّ تفسيرًا مناسبًا .

نظرت إليه (منى) بفضول وتساؤل ، فقال :

— أعتقد أن جدران هذه القاعة من النوع العازل للصوت ، باستثناء الباب الخشبى الذى قدمت أنا منه ، ولا يوجد من يمكنه أن يسمع هذا الصوت على الجانب الآخر من الباب الخشبى ، سوى عجوز تجاوزت السبعين من عمرها ، ولقد لاحظت عندما قدمنا إلى هنا أنها كانت تحدّق باهتمام فى وجه من يحدّثها .. ألا تعلمين ما معنى ذلك ؟

هزّت رأسها نفيًا ، فاستطرد قائلاً :

— معنى ذلك أنها صماء يا عزيزتى ، لا يمكنها أن تسمع صوت الرصاصة ، وإن كانت تجيد قراءة حركات الشفاه .

رفعت (منى) كتفيها ، وقالت :

— استنتاج طريف ، ولكننى لست أدرى إلى ماذا يقودنا ؟

قال (أدهم) ببساطة :

— إلى لا شىء .. ولكنه على الأقل يطمئننا إلى أننا نستطيع التفكير بهدوء ، دون أن نخشى تدخّل رجال (يانج) .

أشارت (منى) إلى الرجال الأربعة و (هانك) الفاقدى الوعى ، وقالت :

— وماذا عن هؤلاء ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— لقد أجدت عملى معهم يا عزيزتى ، ولن يعود أحدهم إلى وعيه قبل نصف ساعة على الأقل .

ثم أشار إلى (آرثر) ، وقال متهكّمًا :

— ولكن مندوب (سكوربيون) ، هو الذى سيكفُل لنا النّجاة .

سألته (منى) :

— وكيف ؟

ابتسم (أدهم) بغموض ، وقال وهو يشير نحو النباتات الاستوائية :

— ألا تعلمين يا عزيزتى ، أن أوراق النباتات الاستوائية العريضة تحوى الكثير من المواد النافعة .

* * *

انهمكت حارسة (يانج هو) العجوز فى إدارة مغزلها البدائى ، ثم رفعت رأسها بغتة عندما سقط أمامها ظلان طويلان .. وابتسمت العجوز بخبث عندما لمحت أمامها (آرثر) ، وهو يمسك معصم (منى) بقوة ويقول :

— (يانج هو) يطلب منك مراقبة المكان ، ومنع أى زوّار من الدخول إليه ، حتى أعود بصحبة هذه الفتاة ، التى ستقودنا إلى الرجل الذى نبحث عنه .

أومأت العجوز برأسها علامة الطاعة ، ولكن شيئًا ما فى ابتسامتها الخبيثة أثارت القلق فى نفس (أدهم) ، إلاّ أنه تحرّك بهدوء نحو الباب ، محاولاً تقليد أسلوب سير (آرثر) الذى اتخذ هيئته .. وما أن وضع يده على مقبض الباب حتى قال بهدوء :

— بلّغى تحياتنا إلى ولدك الصغير .

قالت العجوز بدهشة :

— ولدى ؟

استدار (أدهم) بحركة حادّة ، وأمسك معصم العجوز ، وهو يقول بلهجة ساخرة :

— إذن فقد سمعت عبارتى الخافتة ، برغم أننى أوليك ظهرى .. أنت لست صمّاء أيتها العجوز الخبيثة .. لقد تذكّرت فجأة أنك أجبت طرقات الباب .. قد يستطيع الأصمّ قراءة حركات الشفاه ، ولكن كيف له أن يسمع الطرقات ؟

تأوّهت العجوز بألم ، وقالت :

— دعْنى أيها الرجل .. إنك تؤلم معصمى .

سألها (أدهم) بقسوة :

— لقد سمعت الرصاصة وهى تنطلق ، فلماذا لم تبلّغى رجال (يانج) ؟.. أى كمين أعددت لنا أيتها الحيزبون ؟

صاحت العجوز بحدّة :

ــ كمين ؟.. بل قل أى مكافأة أمنحكما إياها ، على التخلّص من ذلك الوغد الذى لا يعرف قلبه الرحمة .. لقد قتل ولدى الوحيد منذ خمس سنوات .. قتله بلا شفقة أو رحمة ، لمجرد أنه يعمل فى بوليس (هونج كونج) .

حدّق (أدهم) و (منى) فى وجه العجوز بدهشة ، ثم ابتسم (أدهم) ، وقال بصوت يفيض بالشفقة :

ــ وكيف ستعلّلين عدم إبلاغك بإطلاق الرصاص على (يانج) ؟

مطّت العجوز شفتيها ، وقالت بلا مبالاة :

ــ ولم أحاول التعليل ؟.. إننى فى التاسعة والسبعين من عمرى .. أى ضرر يمكنهم أن يصيبونى به .

ثم ترقرقت من عينيها الدموع ، وهى تستطرد بحزم :

ــ لقد انتهى عمرى على هذه الأرض منذ خمس

سنوات يا بنىّ .. منذ قُتِل ابنى المسكين .

مدّت (منى) يدها لتربّت على كتف العجوز مواسية ، ولكن يدها تسمّرت فى الهواء ، عندما فتح الباب الخشبى بقوة ، وسمعت صوت (آرثر) يصيح بدهشة :

ــ يا للشيطان !!.. لقد انتحلت شخصيتى .

وأعقب هذه العبارة صوت رصاصة ، انطلقت من فوهة المسدس الذى يحمله (آرثر) .

* * *

خيّل لـ (منى) وهلة أن الرصاصة ستستقر لا ريب فى جسد (أدهم) ، أو جسدها ، إلاّ أن سرعة استجابة (أدهم) ، التى لا يمكن وصفها بأقل من أنها مذهلة ، قلبت الموقف بأكمله رأسًا على عقب ..

فقد دفعها إلى اليسار ، وقفز إلى اليمين برشاقة ، لتمرق الرصاصة فيما بينهما ، ثم انقض على (آرثر) ، ولكمه فى معدته لكمة قوية ، وهو يقول بسخرية :

ــ ألا تعى دروسك مطلقًا أيها العقرب الوغد ؟

وأعقب عبارته بلكمة ساحقة هشّمت فك (آرثر) ، وخلطت عظامه بدمائه ، وهو يستطرد بسخريته المعهودة :

ــ كان ينبغى أن تعلم أن (أدهم صبرى) هو أشد أنواع العقارب سُمًّا .

وفى نفس اللحظة سمع الجميع صوت همهمة الرجال فى الخارج ، وميّز (أدهم) صوت أحدهم يقول :

ــ إنهم يتقاتلون بالرصاص .. أعدُّوا أسلحتكم يا رفاق ، لا ريب أن (يانج هو) العظيم فى خطر .

نظرت (منى) إلى الخارج من خلال ثقب صغير فى الباب الخشبى المتهالك ، على حين أسرع (أدهم) يلتقط المسدس الملقى على الأرض ، إلاّ أنه سمع رفيقته تقول :

ــ يا إلهى !! إنهم يزيدون على المائة ، ومعظمهم مسلّح بالمدافع الرشاشة .

تخاذلت العجوز على مقعدها الخشبى ، وهى تقول بيأس :



نظرت (منى) إلى الخارج من خلال ثقب صغير فى الباب الخشبى المتهالك ..

ـــ لا فائدة .. سيمزقوننا إربًا .

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

ـــ بالعكس أيتها العجوز ، إنهم سيفتحون لنا طريق النجاة .

نظرت إليه (منى) بدهشة ، وحدّقت العجوز فى وجهه ، وكأنها تنظر إلى مجنون ، ولكنه لم يهتم بما بدا على وجهيهما ، وإنما قبض على معصم (منى) ، وأدار مقبض الباب بثقة ..

ارتجف جسد (منى) على مرأى ذلك الحشد من رجال العصابات يصوّبون أسلحتهم إليهم ، ولكنها فوجئت بـ (أدهم) يصيح ، وهو يلوّح بمسدسه فى الهواء :

ـــ خيانة !! لقد أطلقوا علينا الرصاص .. أسرعوا يا رجال .. إن (يانج هو) العظيم فى خطر .

انطلقت من حناجر الرجال زمجرة وحشية غاضبة ، وتدافعوا نحو الباب الخشبى المتهالك ، الذى تحطّم تحت

ثقل أجسادهم وأساليبهم الهمجيّة ، وهم يعبرون الغرفة الصغيرة ، ويقتحمون القاعة الرخامية ، وكل منهم يمنّى نفسه بإنقاذ زعيمه ، والحصول على مكافأة سخيّة فى المقابل .

ووسط هذا الشلاّل من البشر ، وفى اتجاه مضاد له ، عبر (أدهم) الممسك بمعصم (منى) الأزقّة واحدًا بعد الآخر ، مستعينًا بذاكرته فى حفظ الاتجاهات .. وما أن تجاوزا المنطقة المزدحمة حتى هتفت (منى) :

ـــ كيف حدث ذلك ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول بسخرية :

ـــ هل نسيت يا عزيزتى أننى ما زلت أحمل وجه زميلهم وقائدهم (آرثر) ؟

ابتسمت (منى) ، وهى تهتف بإعجاب عارم :

ـــ يا لجرأتك !!

ضحك (أدهم) وهو يتأبّط ذراعها بهدوء ، بعد أن تجاوزا الأزقّة المتداخلة إلى ميدان مزدحم ، وقال ساخرًا :

ـــ والأدهى أننى سأغادر (هونج كونج) ، بجواز سفر (آرثر فريدمان) ... لقد أرادت (سكوربيون) الانتقام منّى ، فمنحتنى جواز النجاة .

* * *

١١ ـــ الختام ..

فتحت (منى) عينيها ، وتثاءبت ، ثم نظرت إلى (أدهم) الجالس إلى جوارها فى الطائرة منتحلاً شخصية (آرثر فريدمان) ، وابتسمت وهى تقول :

ـــ كيف حالك يا مستر (آرثر) ؟.. أين نحن الآن ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يربّت على كفّها :

ـــ سنهبط بعد ربع ساعة فقط فى مطار القاهرة الدولى .. لقد نجحت المهمة يا عزيزتى ، وفزنا بالوثائق ، وحرمنا منها عقارب (سكوربيون) .

عادت تتثاءب ، وهى تقول مبتسمة :

ـــ لقد كنت رائعًا هذه المرة يا (أدهم) .. متى تتوقّف عن إثارة إعجابى ودهشتى ؟

ضحك (أدهم) وهو يقول :

— لن أتوقَّف عن ذلك مطلقًا يا أعز الزميلات .

ضحكت (منى) بجذل ، ثم سألته بجدِّية :

— أخبرنى كيف أمكنك استخلاص وسائل التنكُّر من أوراق النباتات الاستوائية ؟

هزَّ كتفيه وهو يقول ببساطة ، وكأنه قد أدَّى عملاً عاديًا :

— لقد كنت متفوِّقًا فى علم النباتات .

قالت بدهشة :

— أنا أيضًا كنت متفوِّقة فى ذلك العلم ، ولكننى لم أعلم أنه يمكننا استخلاص صبغات للشعر ، ومكسبات لون من هذه الأوراق .

ابتسم (أدهم) بخبث ، وهو يقول مداعبًا :

— هذا لأنك لم تحاولى البحث عما يمكن أن يغير تنكُّرك تحت أية ظروف أيتها النقيب .

ثم ضحك وهو يستطرد قائلاً :

— ولا تنسَىْ أن الله (سبحانه وتعالى) وفقنى ،

عندما اخترت لتنكُّرى الأوَّل أنفًا ضخمًا ، وحاجبين كثيفين ، يشبهان ما يمتاز به صديقنا (آرثر) .

استرخت فى مقعدها ، وهى تقول :

— هل تعلم ما الذى أعتقد أنه أغرب مصادفة فى مغامرتنا هذه ؟

قال ببساطة :

— أعتقد أنه حادث السيدة العجوز ، فلقد كان يشبه المصادفات التى تحدث فى الأفلام السينمائية .

ضحكت وهو تقول :

— نعم .. وبالذات فى أفلام (حسن الإمام) .

سمع كلاهما فى تلك اللحظة صوت مضيفة الطائرة ، تطلب من الركاب ربط الأحزمة والامتناع عن التدخين ؛ لأن الطائرة تستعد للهبوط فى مطار القاهرة الدولى ، فتنهَّدت (منى) ، وقالت :

— أخيرًا يمكننى أن أجزم بنجاح المهمة .

ابتسم (أدهم) ، وقال بخبث :

— لا تعجَّلى يا عزيزتى ، قد تفشل مهمتنا داخل المطار .

سألته بجدِّية :

— وكيف ؟

قال ضاحكًا :

— من عيوب المواد المستخرجة من أوراق النباتات الاستوائية ، أنها تتلاشى فى زمن قصير ، وقد يجد رجال الجمارك أن صورة (آرثر) لا تشبهنى مطلقًا .

ضحكت (منى) بمرح ، وهى تقول :

— اطمئن يا سيادة المقدم .. فحتى لو أودعوك السجن ، لن تسمح المخابرات المصرية بأن تفقد بهذه السهولة ، ذلك الرجل الذى أثار رعب مخابرات دولة معادية بأكملها ، ويرتجف لذكر اسمه قلب أعتى ملوك الإجرام .. وهل يمكن أن تتنازل المخابرات المصرية هكذا عن (رجل المستحيل) ؟؟

* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦١٩